دار
الشؤون
الثقافية
العامة

قصص قصيرة

ما بين الحب والحب

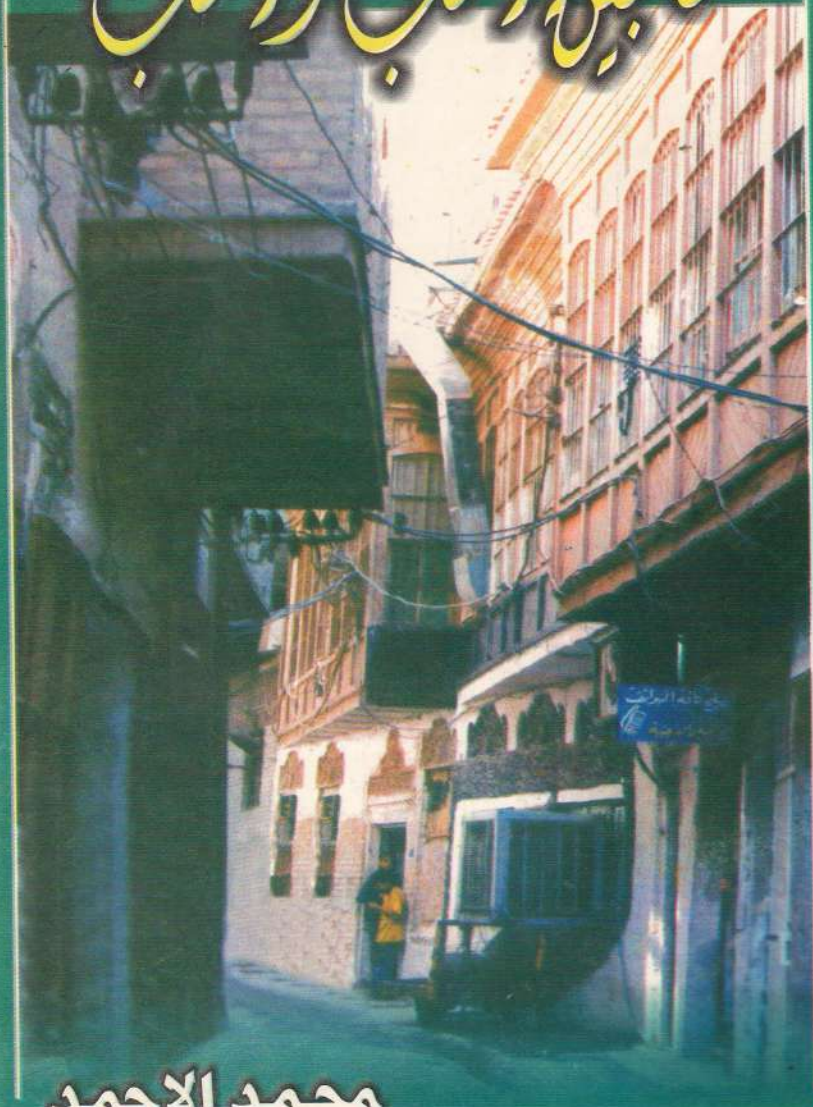

محمد الاحمد

صدر للمؤلف

- حركة الحيطان المتراصة ١٩٩٨ م (رواية)
- جمرة قدار ابيض ١٩٩٩م (قصص)
- اربع واربعون متوالية ٢٠٠٠ م (قصص)
- بعد الجمر. قبل الرماد (٢٠٠٠م) (قصص)
- له مقالات في الصحف والمجلات المحلية والعربية والعالمية في تحسس الادب الجاد.

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد ـ ٢٠٠٢ السعر ٠٠ دينار

تصميم الغلاف : نهلة محمد عبد الوهاب

ما بين
الحب والحب

نيبا له
ببغاع ببغا

مابين الحب والحب

قصص قصيرة

بقلم : محمد الاحمد

الطبعة الاولى – بغداد –٢٠٠٢

بعداع بعدا نيبله

قيبعة بعدة

عدكا عدعده : جلقب

٢٠٠٢ - عاغب - ريا٤كا قعيلعا

ذاكرة ما[1]

(١)

لم يستطع ان يطيق الصبر ، فسألها وهو يتلمسه:

-ماهذا ؟

،ثم حاولت تجاهل سؤاله .. فقال لها

- أسألك عن هذا المثلث الاسود ؟

- واعتدلت في جلستها تلملم نفسها بعد ان حل بينهما صمت فصل بين كل المحسوسات تفجر عاتياً ، بينما عيناها تعاتبانه بريبة :

- وحمة..

- ماذا ؟!

- الهذه الدرجة نسيانك؟

نهضت مزررة قميصها. بقي هو ساكنا في مكانه يأخذه شيء لم يستطع تحديده جعله مقيداً ، ومشلولاً .. لم يتمكن من الوقوف عندما هي وقفت . كأنه أوشك على تذكر شيء..

---

[1] نشرت في صحيفة العرب اللندنية بتاريخ ٢٠٠٠/٨/٢١م

-سأتركك !

سحبها بقوة من احدى يديها وسقطت قربه على الاثل الاخضر ، فأطلقت صوتا غريباً معلنة عن توجعها. حاول تقبيلها فلم يفلح بعد ان دفعته بقوة ، وجعلته يفلتها.

انطلقت تركض بعينين دامعتين بعيداً عنه الى السيارة ، ادارت المحرك ثم توارت بها بعيدا

(٢)

رن جرس الهاتف ، تفاقم الصوت بقسوة .حاول ان يهمله عسى ان يمل الطرف الثاني ويتركه ينعم بنومة هانئة. غطى أذنيه ليقلل من حدّة الصوت الذي ازداد ضراوة .. نهض متثاقلا، رفع المحكاة وجاءه صوتها الهاديء انبرات:

- لم استطع النوم فحاولت مكالمتك ..
- بقي صامتاً
- هل وجدت السيارة في مرآبها؟
- من اين لك بالمفاتيح فهي لم تكن مع مفاتيح السيارة ؟

وأردف مكملاً :

-أودّ سؤالك ايضا عن كيفية معرفتك رقم هاتفي..؟

ضحكت بصوت ماكر :

-بالله عليك من أنت ؟

ضحكتها كانت اكثر جمالا وهو يستشف لها غروراً كأنه لايجهله ..

-لست لغزاً .. ابداً .. انا انسانة مازالت تحبك بصدق ..

-نبر محتدماً :

-اسألك من أنت ؟

- لم خذلتني يارجل .. قبل ان تسألني من انا اســـألك من تكون انت ... ان ماتفعله بي يؤذيني جـــداً .. لقد اتعبتني اتعبتني جداً!؟

-من انت بالله أجيبيني ؟

يمتد السؤال بتفاقم تدريجي ، ويتهدج صوتـــه بانفعـــال منتفض ..

-ضحكك يدل على سخريتك مني ؟

-لاتحجب الاجابة عني يأسئلتك! .

ظل صامتا تلفه الحيرة .. بقيت تعيد سؤالها عليه :-

-من انت .. اني اسألك قبل أن اجيبك ؟!

-انا رجل بسيط جداً ... لا احتمل ضجيج هذا العالم.. أجيبيني بصراحة .. تجديني أجيبك بصراحة مطلقة .

انتاب صوتها الهدوء .

-ينبغي اذن ان نلتقي من جديد؟!

-اذكري لي عنوانا وسآتيك على الفور ؟

- لاداعي لذلك.. سآتيك صباحا الى بيتك ..

- وأضافت :

- اعرف كل ماحصل لك .. انتظرني غداً .

- اغلقت الهاتف ، وبقيت الهواجس الغريبة تتناوشه. سأل نفسه مرارا عن كيفية معرفتها كل هذه التفاصيل الدقيقة من حياته الخاصة ، فلم يكن هناك حوار بينهما على خوض هذه التفاصيل الدقيقة من حياته الخاصة، فلم يكن هناك حوار بينهما على خوض هذه الاغوار منذ بقي وحيداً مع جدران غامقة. ذهنه مشوش صعب عليه التذكر،اختلطت عليه الصور، دارت به مواقف الدنيا حتى تصاعد القيء الى فيه وراح يقيء للفراغ فراغا كان يملأه ..

(٣)

-يبدو انك متحمس لمعرفة كل شيء؟

-وعدتني ومن الانصاف ان تبري بوعدك!

بقي ساكناً ينتظر ما تقول .

-حسناً .. أترغب بشرب الشاي اولاً.

- ساعده لك؟

-لن اسمح لك بهذا .. ساعده أنا فلا تنس أني سيدة ..

-حسنا تعالي أدلك على المطبخ ..

-لا تتعب نفسك فأنا اعرف الطريق اليه ..

لم يصدق ، ولم يستطع ان يتمالك صبره .

-بالله عليك من أنت ؟

-ألم نتفق .

قالت ذلك ودخلت الى المطبخ وهي تكمل

-اعد الشاي بالسكر القليل كما كنت تفضله ! .

قال :

-أهناك علاقة بين الذي تعرفينه عني والمثلث الذي أريتني ؟

بعد لحظات عادت بالشاي قائلة :

- قبل اربع سنوات كنت اقطن هذا البيت .. لاتعجب فقد كنت متزوجة منـ ...

مسحت دمعتها وواصلت القول :

- اوه لا تؤاخذني ان طلبت منك ان تثبت لي انك لست هو .. وان هذا البيت ليس بيتنا .. لقد حاولت ان اجازف بكل شيء.. لاجعلك تتذكر حتى .. لكن ذاكرتك لم تعد إليك ليعود زوجي إلي ..

أخذت تلهج بصوت محتدم بينما هو يسمع بشغف دون ان يرتشف من شايه كان صوتها يتصاعد تدريجيا، وبدأ الانهيار يلم بها ..

- ألا تذكر عندما كنا صغارا، ونلعب معاً ، وأردت أن اخيفك باني ملكة النار كي لاتلعب مع فتاة اخرى.. لكنك فزعت وبتصرف عفوي تناولت العمود الحديدي ذا الرأس المثلث الذي كانت أمي تستعمله في تأجيج نار الموقد.

- ثم ماذا؟..

الصفر نصف قطر دائرتي[٢]

ليل ملبد، وساعاته تجر العربات السود كقافلة تخب في الوصول الى ما لست ادري، خضم من الاغتراب يلفني، وحالتي قلقة بين صمت الشفتين الباردتين، وعيني أبي المفرغتين من الدهشة. خيوط من ضوء شحيح شاحب امتزجت بفوضى الغبار المتناثر داخل الغرفة الصغيرة ذات الجدران الكابية، فتكدس لون رصاصي على مسقط وتر الضوء عموديا الى فضاء قاتم امتصه حد التلاشي ...

- (تبدين لي أفعى او حبل خلاص)

كنت اقول لها منذ كنا صغارا، ونلعب في ظل شجرة (اليوكالبتوس) العتيقة، او في جذعها المحفور كمغارة، كنت اقبلها بوجل تحت حنكها، فتضحك وتؤلمني ضحكتها هازة إياي بإيقاع حلو، وتهم بالهروب. اتشبث بكتفها حتى يتعالى صوت ضحكتها، فتأتينا أختها الكبرى زوجة اخي الاكبر الى خبئنا. فنتظاهر باللعب البريء..!.

---

[٢] نشرت في جريدة العرب العالمية بتاريخ ١٥/٣/٢٠٠١م

ليس لي الآن سوى الانتظـــار، والاقـــتراب مـــن سريرها.. يهتف أبي صاهلاً ، وكأنه يلسعني بسوط على جرح اوشك ان يلتئم :-

-اتركها ..

تنوء إمتدادات الصمت بالحب ، واســـتبيح آخـــر مالدي من ذكرى، واهتف في وجهه صمتاً يحرق ما فـــي داخلي من دم. تبدو الابتسامة في وجهـــها خلاصـــاً لا اعرف كيف يبتدئ. الدم ينزف بـــارداً عنـــد الرســـغين بمجرى قان ماراً بالرقبة حتى شحمتي الأذنين ، ويمتـــد مع خيوط الضوء الواهنة خطوطاً بلت الارض نحـــو رحيق موعود. كنت اؤمل نفسي بأنبـــهارات العشـــق.. الليل لم ينتظر فرحي، وبقي طاغياً عليّ. غرس مؤلـــم سحب من الدخان المتموج تتراجع كمقاطع مـــن أغـــان متداخلة بإيقاع متواتر !!.

سنوات كثيرة من القحط مرت على ارض مجدبة. لم يعد في فضائي سوى الخيبـــة ، والانجـــراف وراء سمكة ذهبية تغط في عمق النهر. طفرت وراءهـــا مثـــل مجازف عنيد.. صرخوا عالياً .. قالوا نحـــذرك منـــها، كانت بلمعتها أقوى . نضوت ثيابي وهجمت على تلـــك السورات محاولا تخليصها من خمولها . لسعني الـــبرد

وبقيت اقاوم سابحاً ضد التيار .. كأن رياحاً باردة تلامس المكشوف مني، تمض في الجلد كرجفة انتفاض عفيّة ..

-اتركها ..

جثوت عند قدميه ان يمهلني قليلاً .. متذكراً معها أحلى التذكر. اصبحت الاضاءات رخوة ، زلقة .. فلابد من البطء في الاقتحام !!

خفت موتها من جديد . رجوته ان يمهلني لحظة أستضيء بها دجية ما يقدم .

امسكني بقوة مخرجا الصوت من شدق مزمم.. متقلذفون نحن الثلاثة في عالم مغلق ..

بدت هي ساكنة يلثمها شقاء الروح، كأنها محور يمدني بالحيوية. كانت لحيته بيضاء كالثلج ، وجبهتها بيضاء كالصبح. كان شعره ابيض كخميرة خبز، هي مجالي الحيوي الذي يرشد أنفي الى مكان وفر هواءه، وصفاء التنفس بينما هو كان شاخصاً امامي كخناق!

مشاعر خوف تدوي بتتابع غامر ، وكأني مغامر قفزت الى تلك الدوائر المتسعة شيئا فشيئا. حد التلاشي .

الليل يشتد من حولنا في غرفة امتلأت غيظاً وكآبة.. بعد ان افحمها الانتحار وفراً من ألم عم كياني وافقدني الصواب. بدت اعصابي تتودج عصباً فوق آخر حتى اشتد الوطس كأن حريقا قد نشب، ايبس ما عندي من اوراق خضر، مبتدئا بالاحتراق .

-بني أرجوك .

يدفعني عنها بقوة شيخوخته التي أرجعتني طفلاً. تذكرته يربطني الى النخلة التي توسطت الدار ويظل يضربني بهوس عصاب دون ان يخلصني من بين يديه احد تثيره توسلاتي . يدفعني من جديد كأنه يرجعني طفلاً يمسك شيئا عزيزاً ، يدفعني محاولاً إزاحتي عن جنتي!.

-اتركها . ستصل الشرطة بعد قليل ..

صمتي موبوء بانفجار مكبوت . بدأت احس بليل آخر اكثر قتامة يغمر روحي مهشما ما يجعل الحياة تطاق بتفاصيل اكثر دهمة ، وابعد معنى تغرق التروي فيتناظر الموت بين الحين والآخر.. روحي عصفور حبيس يبحث عن منقذ.. ربما المسجاة منقذها الوحيد .

كانت عيناي تسبحان في تفاصيل الجسد المدلهة مجداً ، وأصابعي تسرح في انشاءات الخصب الذي لايجدب..

-بني ارجوك .. ابتعد عنها .. لاتمسها .. لن يصدق أحد كأنه يهذي ، وأنا احاول السباحة عكس التيار الجارف..

عيناها تأسراني. رفعت جفنيها، وعاودت اغلاقهما. عينان زرقاوان كصحو مستحيل !!

الامر يتكرر عليّ.. كل شيء يحدث الآن ..كانه قد حدث في السابق ..

تشبه شقيقتها الى حد مذهل . النتيجة ذاتها، وطريقة الانتحار ايضا . الموقف كله يتداخل !!.

نقض عزمي وبقيت مذهولاً غير مصدق شيئاً .. شقيقتها هي الاخرى انتحرت في ظروف لم تحوها ذاكرتي . كنا بعيدين عن هوس الجدية التي تناغم بها العالم من حولنا، وبعد سنوات تزوجها اخي الاكبر بعد شقيقتها شانقا رغبتي وموقفاً بنائي .

الليل ذاته يمرّ الآن بالغموض ذاته. أبي بعصاه الخشبية يقف عند رأسي ، ويصهل .. عرقي يتفصد من

جبهتي، وجبهته المتغضنة . اما حبيبتي بثوبها الذهبي اللامع تضيء به. فتقتل خيبتي.

بعد زواجها، احبت زوجها كل الحب، ونأى بي الالتزام عن قلبها فأخلصنا تمام الاخلاص.

هي الآن ملكة فرعونية تنام برهبة قاسية. الضوء الشاحب يمتد في عروقي فيعطل وجيبها، ويدفع بي الى الانقلاب.. بشفتي مرارة لن تزول الا بطعم شهد الشفتين المشعتين رغبة عارمة ..

كان أبي يتابع الموقف بدقة ، وحذر متكهنا بالذي أرومه ..

دفعته برفق فتهالك بعيداً ، وتوضحت عيناه لائمتين بالاسى النجيع بالغم .

بشفتيها تغويني وانا العطش الى عمق النهر الجاري هادراً على الرغم من برودته احاول استباحة ما عزَّ علي بعد ان شوشت الرؤية ففقدت رزانتي ، محاولا استجماع ما فيَّ من رغبة حبيسة واندفاع الى العمق حيث السمكة المتلألئة بشبق . كنت اشتهي الفاكهة المحرمة.. بين طيات النسيان، ورحت احاول النزول الى عمق الماء.

كانت صورتانا واحدة. كل ما فينا متشابه العيون، التقاطيع، والطول، وكل شيء حتى نبرة الصوت كما يقولون- يكاد يكون من الحنجرة ذاتها.. حتى بعد سنوات من موته أبت أن تفارق البيت الذي جاءت اليه مع اختها، كنت مجبولا بها، ولا اصدق غير ذاك. لا ادري ان كنت في كابوس، كل ماحدث اكاد اعرف نهايته، كأنه مر بي في زمن غير هذا بكل تفاصيله..

كانت عينا أبي تطالعني باستنكار فهممت ان افعل شيئا لا تسوء عاقبته، فنهضت الى مفتاح التيار الكهربائي وعطبته ليتسربل الظلام قائما بيننا .

فأخذت اكمل مابدأت مستدلا اليها بضوئها الذي كسر ظلامي وقطع ابي عني . كأني فرغت من صوته الجهوري الحاد، الذي يود ايقاظي من الحلم .

تقدم مني ناهضا متكئا على عصاه ، قائلاً:

-مجنون أنت؟!

كأنها تهمس في أذني لاواصل النشيد ، وانا اغرف الماء بيدي الى الخلف لاندفع الى الامام :

-اتركها ..

حاول فصلي عنها واضعا عصاه الباردة جدا بيننا ، فأمسكت بها ، وجررتها الى بقوة.. ثم دفعته بعنف

الى بعيد، فارتطم رأسه الواهن بحافة السرير .. شج رأسه، وتفجر منه دم طفر على ظهري العاري ، ووجهها. وظل ينزل الى الارض، بعد ذلك تناهت الى أذني طرقات على الباب أخذت تدوي بعنف شديد عرفتها للشرطة ، ولم احاول النهوض بعد أن قيدني الخوف بين جثتين !! .

ورطة[٣]

-ما العمل ياحبة القلب ؟

حزني امتد على الشجرة العتيقة المنتصبة بشموخ امام الدار ، وحجبت عن نوافذه مدينة بأسرها، بضجيجها وفقرها.. حزني الممتد على كل اغصانها في ليل صامت منتشراً بامتداد سيقان متشابكة بقيت تتفرع في اوداج الذاكرة ترفل فرحاً، وحباً .

جنون الليل يبتديء كلما صرت صراصيره، ونقت ضفادعه وشخر عسسه مع صراخ طيوره المهاجرة الى الاقاصي ! ..

حزني يكتمل في عيني أمي المتجهة، وعيني ابى الذي سكن صمتا طويلاً وابتسامة شقيقتي التي أردتها أملا: بينما عينا زوجتي حبة القلب معلقتان في علو جدار صامت غطاهما بغباره، وأخفى عني رحيلها ..

يسيطر على يأسي، وتخذلني يدي الوحيدة عندما يدور رأسي مثقلاً بهم التمني :

- لو أجد مرتكزا بديلا عن هذا الانكسار ..

---

[٣] نشرت في جريدة العرب العالمية بتاريخ ١٣/١٢/٢٠٠٠م

عيناي تدوران في ذكرى ضاجة بأمل مبتور جعل من الشجرة كل عالمي المنكس الرأس، مما يحدث وسيحدث. بدت الاوراق تذبل كلما تقدم العمر بي، أزداد لفح الهم الذي مدته سيجارتي المبدلة بأخرى كل حين .. أصابعي الخمس ترتعش ، فافرك بها وجهي لاخفي اضطرابي.. لكن الانفعال يهبها وحشية فأعصر صدغي مثل متأنب !!

-مالعمل ياحبة القلب ؟

تحضرني زوجتي فأمد كلتا يدي الى صدغيها، تتخلل أناملي شعرها.. تلفحني أنفاسها بدفء، تمتد الرغبة لاحتوائها مسبلا عيني لتلتقي الشفتان بالشفتين، وتنزلق الاصابع تلمسا جائلة في نعيم الحلم ..

الضوء القليل المنبثق من جوف المدينة، يأتي مكسورا تقارعه الاغصان المتشابكة معلنا تقويض تطلعي.. أرنو الى صورتها الحزينة فاكتشف ترسب أمنية مطفأة بالبقاء حيه.. لكنها الآن باتت شهيدة حب منحها الاستقرار والخلود بلا جسد .. فسرت بقائي، وقراري، وأملي.. فاجأتني بعد عودتي كاندلاع حريق .. قالوا بشفاه لم تعرف الرحمة :

(ماتت.. لم تحتمل الصدمة بعد ان قالوا للجميع أنك ميت)..

-حزني ياأختاه صار حريقا يأكل بي من الداخل .. بعينيها ضوء أمان ، وبصمتها بشرى امل لنهار سيأتي..

-ماالعمل ياحبة القلب ؟

يضج السؤال مزدحما في ذهني، أظل كطائر مبلل مرتجف لا يؤويه غصن.. تغيم عيناي في تباريح غامضة مدت علي شرودا طويلا .

تتقدم أختي مني قائلة :-

- تقول أمي عليك بالرحيل الآن ؟؟..

تظل الشفتان مرتجفتين بكلام حبيس ..

-سأقول لها انك تستعد لما يريدون الى مابعد الحفلة ؟..

-لا ادري ماالعمل ياحبة القلب ؟

تفرح العيون من حولي، وعيني يأكلها غم حزن مدقع.. دوران اسطوانتهم لم يشدني،ولم أستسلم .. رصاصهم يثيرني ، يؤجج في نصاب حرب عمياء.. الحفلة الصغيرة مازالت تجري بي كعربة تقرقع في طريق متعرج.. قيء يتصاعد ويفصل ماخزنته معدتي،

ترفض رفضاً كل ما لايناسب.. يتلوث المكان قرفا برائحة نتنة..

تتقدم الأم محملقة في عيني بقسوة منتزعة مني ماتصدقه.. لأنها تعرفني جيدا غير متراجع عن قرار اتخذته.. وحيد دونما عينيها ، وعيني تحاذر الانزلاق، وقبل ان تسأل انفجرت بوجهها :-

-لن ارحل ياأماه !!..

-أني قادرة على اجبارك؟؟

ترفع يدها بيرقا ابيض . رفرف مثل جنحي حمامة بيضاء كنت احلم بنقاوة صبحها، لكنها حطت على خدي الايسر ألما لاسعا جعلني أتجلبب في ثورة كظيمة غير مصدق وأنا أصهل بشدة رافضا:-

-لن ارحل هذا ماقلته!!.

تنهض أختي بيننا ، قائلة بهمس :

-ليتك صمت .. لجعلتها تندم ..

ارفع يدي الوحيدة ، وألطمها على فيها بوحشية محارب، خر دم خضب الارض المفروشة بلون اخضر جميل.. يتغير اللون ، تشتعل فيه نار ويهب دخان ملأ الاجواء.. تتحول الحفلة الى همهمة اصلاح الخطأ

محاولة مستميتة لاطفاء اللسان الصغير الذي اخذ يكبر ملتهما كل ما حوله..

مرارة الحزن لم تزل عالقة بلساني ، فأتوق كل الاشياء بطعم الحزن المر..

الشجرة ستحجب عني شمس الغد ايضا.. الصورة تسقط ارضا، ويدي الوحيدة تنفض ندما .. في تلك الليلة الآلة مع يدي كان الليل ساكنا كبركة وحل. فجأة هلجت نيران من كل مكان وسقطت قربي الاف القذائف، وتناثرت ، شظايا وأجساد.. بقيت مفجوجا ابحث عن منفذ . ولم انتبه للذي سقط مني على قدمي، وظل يتلوى مثل صل قصم ظهره. حاولت رؤيته في الظلام المتموج بومض النار فلم أجد لذلك هما سوى محاولة البحث عن مأوى للخلاص.. حيث الخلاص في ارض مكشوفة تحت سماء تمطر موتا محققا. حاولت التأكد من كل شيء .. لكن العشب لاخضر تيبس واخذ يحترق ورائحة شواء لحم آدمي امتزجت برائحة البارود المحروق ، قذائف تزمجر بعنف مريب.. أحسست بدفء سائل لزج بل ملابسي بين ضوء غططني بموت لعين. حرارة التراب تحت قدمي نبهتني للوقت الذي سيفلت الروح من الجسد ولم يستفزني شيء مثلما

استفزتني الذراع الساقطة بين قدمي دون ان اعيها .. سقطت مثل غصن انتزعته يد حطاب ماهر. ألتمس بيميني يساري فلا اجدها. افزع اكثر، والدم تدفق مني مثل ماء من نبع. الألم فزع ايضا.. الليل أمات نفسه بين قبضتي، آلم توقظ فطوحت ببندقيتي بعيدا التقطت ذراعي وابتدأت اجري متخطيا كل القذائف اركض بينما بقي كل ما خلفي محطوبا..

-ايه ياحبة القلب ماالعمل بعد الورطة؟ .

تخمد النار تحت قدمي شيئا، فشيئا وتبقى نار القلب تمور.. تجول عيناي في عيني اختي، فتصد عني بوجه ذبحه الألم.. أتقدم منها، واقبلها معتذراً ترفق بي فتضمني قبلا سمحة مربتة على رأسي بحنان عظيم .. ريح المدينة جعلت الشجرة ترقص.. موسيقى ليل تدوي.. اخرج سيجارة ، أرنو حيث لا شيء أراه سوى أكياس الرمل المصفوفة على واجهات المحلات، والبيوت .. كما انتشرت فصائل مسلحة في الازقة الخاوية.. تقول اختي وأنا هائم بقوافل ضياعي..

-هيا نبدأ حفلة الميلاد!!

-الريح تصفر، وتحمل رشقات رصاص ، بينما أمي ترقب وجهي الناتىء كصخرة صفراء لم تعرف فرحا. فأبتسم للشجرة التي ماجت أمامي ..

تتمتم الام قائلة : سيقتلوني ان لم ارحل؟

تتوقف ابتسامتي عن نموها

-ما العمل ياحبة القلب بعد الورطة؟

حزني يمتد سكونا : آه لو كانت يدك اليسرى لزرعت بها شمعا في كعكة الميلاد، لأوقدتها فرحا بلا انطفاء.

-يجب ان ترحل؟.

تمسك اختي سكينا، وتبدأ بها تقطيع كعكة لفحها الدخان، وصار لونها رماديا.. تعود الابتسامة تكبر قليلا قليلا.. كأن ليلا سينكسر ان انزاح عني ما يحزن .. امد بيمناي وارفل بها فرحا ونبلا - أساعدها في قطع الكعكة..

-لن اقبل ياأماه مادام حفل الفرح قائما

-سترحل برغم انفك!

تنتصب اختي بيني وبين أمي المتقدمة الي ..

محافظ على ابتسامتي برغم حرقة الموقف .. الليل ضم اصابعه علي بينما انا مستمر الخطو..

-ارجوك يابني دع هذا لاهله وارحل؟؟.

نصل السكين قائم بين لمة اصابع قوية ..

-هروبك من المجابهة يجعلهم يعجلون نهايتي !!..

تنتهي الكعكة من التقطيع المتساوي ، وأردف محافظا على الابتسامة التي اخذت تتسع الى ضحكة هستيرية ..

-بل نهايتي ياأمي ؟

الضحكة تنزف جعلت اختي تجفل من لمعة عيني بعد ان اخذ الموقف يتفاقم بتأزم شديد جعلني اقفز بمهارة متدرب امام الشجرة ، واغرز النصل مرارا في صدرها .. تلوث ألما وخرت سريعا في ليل مرتجف مزقه نثار دم مباغت .

كان

شجرة الحب الاول عادت الي، وأنا في غيـــهب داج من غربة دكنة تشبه مدخل كهف بجدرانه الســود. عادت شجرتي لتمنحني تماســكا وشــيئا مــن ثمارهــا الناضجة التي تذوقتها في سنوات خلت .. قلــت لــها وأنا أتابع بعيني ظلها الممتد كظــل مئذنــة طويلــة ، ورشيقة :-

- شكلك التاحة التي أغوتني .

ضحكت بصوت عذب وصلني مثل ماء رقراق بعــد عطش قاس، ورن في الغرفة التي جمعتنا وحيدين فــي عالم ازدحم بالتناقض . كان الضــوء واهنــا موازيــا لشعرية غربتنا، كأن الليل لم يبتد بتداكنه برغــم عبــور الساعة الثانية بعد المنتصف ، وكأن صوت الساعة اللعين يقحمني فيضا من ضجر وارتباك ..

بقيت ابتسامتها تمتد حاجزا حائلا بين الوقــت وبيني، فتسرب الي فعم من انشراح كسر كل تقلصات الخمول يود الطيران بهذه المرأة التي اضطجعت قربي

تطلق صوتها رصاصا ضد الوحشة ، الخـــوف، وكبـت النفس الأخضر ..

تحركت أصابعي فوق أزار القميص ، وراحت تستســلم بإسبال عينيها الرائعتين..

-ارجوك تمهل ولاتجعل الجحيم تلثمنا !!.

كفت الاصابع عن البحث عن الســـر المكنـون ، وصرت ارتجف قليلا مرتبكا امام السحر الـــذي انبثـق مضيئا عندما هم الطائران ان ينفرا في وجـــهي وســرت اتحسس ريشهما الابيض البض، وأنا ابتهل شوقا ووجدا تتصاف أنفاسي بها كسيور ماء تندفع بقوة مغرقـــة ، وجعلت أناملي تمر بمفرق العبير بحثا عن لمسة تؤجـج اللذة وتلثمني لبدء تكويني الفسلجي كي أتنـــاثر فـــي اكمام لم تكفني. كان حفيف ضحكتها يفجر البداية التـي اجهلها .فتقت كل ازراري ، تمددت قربها محيطـــا إياهـا بيدين خشنتين تاركا الصوت يدخلني ليضـــيء لـــي كـــل المعتمات. كان الجسد ميدانيا تكتشف الروح فيه ذاتـــها لتخرج للعالم طاهرة من كل الآثام بدأت الثم النهد النـــافر بطرف لساني مبتدئاً بالحلمة المحوطة بهالة بهية شـــجت دمي وحرقت ما فيه من خمول، وبدأ النهد يســـتنفر ذاتـــه حتى جاشت صيحات اللذة..

-ارجوك تمهل..

حرارتها تلهبني بسوط قـــاس جعلنـــي لا افيـــق.. احسست بالارض تنشق نصفين تحتها،وأنا فوقها فســـقطنا معا الى القاع العميق، دون ان يلامس الخـــوف قلبينـــا .. مطمئنا بأنها طائر العنقاء الذي سيستقر بـــي الـــى جـــب الامان ..

كان ذهني مشوشا الى حد الـــهوس، ونظراتـــي لاتستقر في مكان مبهور بالضوء المتسرب حالما أســـير بالهدى الى اول الامان ، فبدأ لـــهاثي المســـعور يســـتعر تدريجيا ..

الشجرة تختض ، ثمارها طول يدي .. كنت فـــي ذلـــك الزمن المر مستسلما للوقت القاسي الذي منحته ايـــاي تجربة الحب الاول .. كنت صغيرا حد القصور، وكـــانت الانفاس اللاهثة لا تهز الغصن المليء ، جيدا.. الـــهواء في الخارج يحرك مصابيح الضوء داخـــل الغرفـــة كأنـــه احتفال كرنفالي .

-ماذا بك؟

عيناي تدوران على زجاج النافذة .. تقفـــزان اليـــها بسرعة رهيبة ..

سألتني بعدما وجدتني مقطوعا عن سمفونية الوصول الى اغصانها لتمنحني ألذ ما في الغصن العالي من ثمر ناضج، فقلت:-

-ألا تخافين؟..

-عجبا ما لنا والخوف ؟.. اقترب أرجوك !..

-لا ادري ربما هذه القطرات العالقة على زجاج النافذة هي التي أخذتني للـ ..

-هل تشعر بالبرد ؟

-من أين يأتينا البرد والنار تمور ؟؟

-هكذا أريد لاحبك اكثر !!..

تعشقت الشفتان بالشفتين ، ورحت اتنشق عبيرها الساحر ، فكرت بعوالم الحيق الذي يلذني امتصاصه نتجاوز الغم المثقل داخل الصدر ، أبقي طليقا.. كأني في حلم ابتدأ بموضوعية .. كنت أشبه الى حد بعيد فارسا مرتديا القلنسوة والدرع، وممتطيا فرسي وأنا أعدو منطلقا الى حيث لا اعرف.. فكلما اقطع من طريقي شيئا اجد الطريق مازال في بدئه، فمرت علي الفصول الاربعة في لمحة .. كأن مهرتي تحاورني عن البعد والاغتراب والقحط .. والليل ايضا يلتف بلمحة وينفك بلمحة. كنا نتقدم ، فنرى اراضي كثيرة يفتك بها القحط، والجوع من

الداخل .. كنا نسير ونسير منطلقين بلا هـوادة لا نعـرف الامل .

-انا اسأل .. ماذا بك؟

-لاشيء !!..

-لكنك تبكين

-تذكرت لقاءنا الاول في حوقن التبن!.

جرتني التنهدة الحرى الى سنوات مضت. تلامس صدرانـا، ظلا يهدران بعنف .

-كانت المرة الاولى التي أنام فيها مع رجل !

-تلوميني لأني لم أتزوجك ؟

-لا ابدا .. كنت معذورا لانهم أخذوك الى الحرب

-وماذا بعدها ؟

كبر جنيني وفضح أمري فلم يتزوجني أحد!!

توقفت التنهدة ، فأيبست حلقي .. تذكرت كل شيء ..

-وماذا بعد الذي حدث؟؟

-اجهضت نفسي بعد ان هربت من أهلي .

استقرت أنفاسي قليلاً ، ورحت أحدق في التماعة الدمعـة النازفة من عينيها ..

-وأنت ما حدث لك؟

-لا شيء

-تكذب !!

-ماذا؟

-نعم تكذب .. لقد أخذت منك الحرب أعز ما يكون للرجل!!

تفاذفت تدريجيا مثل ماء البحر بثورته ولججه المتصارعة .. متذكرا ما قاله الطبيب لي ساعة خروجي من المستشفى:

(العملية لم تنجح .. لكنها ستنجح مستقبلا) .

مدت يدها ، وتخللت أصابعها شعري، فأحسست بأني مجبر على التحدي - لا على قبول العطف ، فهممت من جديد .. لكنها دفعتني برفض قائلة ::

-سنحاول في مرة اخرى !!

-نتزوج؟

أنفصل صمت قائم .. كأن الليل أفلت خيوطه الى نهار جديد، ابعدت هي يدي بعنف كأنه رد فعل لما هو غير مرغوب فيه..فهممت من جديد بقوة أكبر ، فاذا بي أمسك غصن شجرة جرداء ..

بعد الجمر .. قبل الرماد[٤]

كانت تقول له وهي تدفن وجهها بين كفيه الغارقتين بالدم:
-كل عام وانت بخير
أجابها بصوت تبتلعه الغصة ، بينما أصابعه الخجلة تتخلل شعرها السبل الاسود النازل كشلال عنيف الى قلبه العطش المتخثر الجراح .
-(كل عام وأنتما بخير).
ليال سود مرت كما الطائرات الخاطفة بعد ان عمت احوال رديئة ملأت أجزاء الثانية ..
سوادا قاتماً متشظيا على اضرحة جمال تصير حجر بالغ الكآبة جثم فوق القلب وقلقل وجيبه ..
وقت متألق بقي محفورا بذاكرتها / ذاكرته لن تزيله السنين القادمة كما لم ينسَ ما أكله من عشب ، ضفادع، وماتبقى مما أكلت منه الكلاب السائبة .

---

[٤] نشرت هذه القصة في صحيفة العرب اللندنية بتاريخ ٢٠٠٠/٩/١٤م، وأيضا في مجلة الطليعة الادبية في العدد (٣) لسنة ٢٠٠١م

صوتها حزين لطائر في قفص مركون بزاوية من غرفة كآبية لم تصلها الشمس .. كأنها تترك أنفاسها تلهب رقبته وتلهج بصوت كسير (حمدا لله أنك عدت الينا).. يحاول النظر الى عمق عينيها السوداوين الغارقتين بالدموع ، أحسته يقف أليها طويلا لتتأمله. الزمن توقف و استحالة الى كينونة من رماد . زمن تناثرت شظاياه في فضاء ساكن. وبقي متوقفا عن الحركة .. ركوده لا يفضي الى شيء، ولا تفضي الاشياء من خلاله، زمن ميت يواريه سكونا مقيتا..

-(رائحتي كرائحة جثة متفسخة)

كان يقول لها ذلك كلما كان يحضنها ويحملها الى اعلى على الرغم من وهن جسده الذي هدته الاهوال، تظل بعدها على صدره مثل حمامة ، يهدل قلبها له بإيقاع حلو يمده بالحياة،تبقى غافية على عشب صدره بانثيال صور شتى مخزونة بذاكرته/ذاكرتها . آلاف من البشر بقيت موزعة على امتداد البصر. بعضهم كان يمد له يدا برجاء. وامعاؤه مندلقة يجرها وراءه كحبال علقت به، ولا يبالي بها. بعضهم الآخر خر صريعا ، تعب اجنه الانطلاق العبثي في اللا اتجاه، يمشون، يركضون ، متيبسين خوفا وهلعا من طائرات خاطفة .

الليل الكثيف يمر عليها سفرا غامضا ويحويها بليال قاسية .

(كنا صغارا نتبادل أشواقنا الصغيرة بالاشارات والإيماءات ونلقي من الشبابيك خصب احلامنا)..

تصاعد بكاء أبنتها وتركته تقول:

-ثيابك النظيفة تجدها في الحمام ..

خطواتها تهللت بفرح غامر.. عجلة نحو الغرفة الاخرى حيث سرير الطفلة وتراقص اللهب الازرق في المدفأة القديمة عندما أنحنت برفق على السرير والتقطت الطفلة دون ان ترفع عينيها نحو زوجها. وجلست ترفع بلوزتها السوداء الى اعلى تكشف عن نور صبح يوجعه!..

أنحنى بجنو قربها مقبلا الرضيعة التي ما ان لثمت الحلمة حتى كفت عن الصراخ، فتحول صراخها الى هديل حمامة ، فاخترقت أنفه رائحة حليب محمض!..

ابتسمت قائلة :

-ساعد لك شيئا تأكله؟

جاءها صوته واهنا من حنجرة كستها الادخنة

-اريد الاغتسال أولا ..

عاود تقبيل الطفلة قبل ان ينهض ويلامس شظايا الزمن المعلقة في سديم الفضاء السقيم..

بينما أفلتت الطفلة الحلمة من شفتيها وتناثرت قطرات الحليب على خدها وصرخت باكية بصوت عال، فابتسم قائلاً :

-لعل لحيتي الكثة وخزتها ..

ابتسامة عودة الماء الى نهرها الجدب . نهض بتثاقل متأرجح كاد يفقد توازنه . نزع بقرف الحافظة المقيتة المربوطة الى حزامه. كان يحدثها عن ضوضاء تملأ له رأسه.. صفير صواريخ تمر في الذاكرة وتتشظى الامكنة وتنهد مكومة بعضها فوق بعض . الرؤوس تنزف بلا أجساد وعيونها مندلقة كسيول جارفة تدفع لزوجة التراب المزيج بأدمغة نز سائلها الاخضر كماء آسن ..

-(كدت أموت ألف مرة قبل ان اصل اليك)

-يحفظك الله من كل مكروه .

-طوال الاشهر الثلاثة كنت افكر فيك لكم يزداد شوقي).

بدت الاشياء من حولها / حوله هلامية مثخنة بجراح لاتنسى ، كل الاشياء تذكره بتفاصيل هرب منها ولا يدري الى اين. كل الجهات كانت مغلقة ولا سبيل

الى التخلص .. ساعة منضدية أمامه تناثرت مع اصدقائه وصارت التروس تتدحرج في روحها/ روحه الآف الانتصابات ..

قال ساخرا..

(هل تعرفين أني بطل حقيقي بعد ان خضت الذي خضته. قولي ذلك سخرية أرجوك !) .

سكتت /سكت. وبقيت تتأمل ظله الفارع على كل الجدران التي تحويها.

أفرغ قدح ماء بارد في جوفه وأردف مشيرا الى الجهاز الصامت المركون بأهمال في الزاوية القصية

-ذلك الملعون لايطل على المذابح!!

كان ينظر بأسى الى كل ماحوله ، ويهز يده أشياء، ويتنهد بحسرة كلما تضيق كلماته في احتراق لم ينطفيء .

-(أتعرفين ماذا سأعمل بعد هذه المزحة ؟) .

بقيت تنتظر مبتسمة الى الصغيرة التي بين يديها، تهزها برفق، وكان الثدي مملوءا بالحليب الذي لم تأخذه الصغير..

قال مكملا: (قاطع طريق ولا فخر)

قلبه/قلبها منقبض، ويداه /يداها ترتجفان. دخل الحمام وأغلق الباب الخشبي وصر صريرا خافتا، وعيناه تدوران في فضاء أبيض من بخار أنتشر على أديمه، منطلقا من جردل كبير موضوع على مدفأة نفطية هرمة تراقصت النار فيها بخيلاء عجوز هزمتها اليقظة ..

نقرت على الباب، لم يجبها فدفعت الباب وأدخلت المدفأة الاخرى الى باحة الحمام الضيقة، فقال لها برغبة :

-(جئت في الوقت المناسب).

أشاحت بعينيها عنه الى الجهة الاخرى بحياء مبتسمة .. موجة دفء تسللت الى قلبه/ قلبها سحبها من يدها وتمنعت بدلال أنثوي، قائلة :-

-الطفلة لم تغف بعد !..

انطلقت غزالة نافرة في صروح بيداء دافئة بموسم التكاثر ذهنها المشوش المضطرب يعافرها اغتلام انتشاء دفين لامرأة يحبسها ظل رجل غامر جعلها اكثر تألقا/ تحليقا في فضاء طراوتها. حدقت في المرآة الى شعرها الطويل ونقلت اصابعها الى وجنتيها وهي تتلمس تجويفا حادا حول عينيها المحاطتين بهالتين سوداوين. تناولت مشطها الخشبي ، وسوت به

الخصلات (كنا صغار نبادل اشواقنا بالاشارات والايماءات ونلقي من الشبابيك خصب احلامنا). أكملت زينتها بعد ان تأكدت من نوم أبنتها . وعدلت الملاءة الصوفية الثقيلة على سرير نومها. ذهنها يمور بشيء ما. حائرة بانتظاها . ابتسمت عندما وصلها صوت سعاله. كانت عيناه تلمعان باندهاش غريب: لكم تحبه! الليلة سيغبطها بجنحيه ويطير بها الى حيث خصوبتها.. يوم جاءوا اليها بحافظة نقود فارغة – ألا من بطاقته ودفتر صغير فيه ارقام هواتف وعناوين اصدقائه وبقايا ملابس محروقة، لطمت خديها ، وقطعت خصلات شعرها، الحرب تترك القليل من الخيارات عندما تحل كالفاجعة وتأكل الخضرة الاحلام النضرة/ تطايرت الاشلاء محترقة متناثرة في الاعالي وامتزجت بالزمن المهدر. نزلت دمعة دافئة على خدها، ونهضت عاقدة العزم على ان تروي له كل ما روي لها وما حدث. كرهت ماحدث، ونفضت رأسها بشدة كأنها وتر مشدود الى ربابة من صفيح بليد، يصهل في كيانها لحن مقيت اهوج لا يعي احتدامها، دماء تغرق حاضرها بذل تتركها مهدودة الحيل. الحروب أسقطت اعمدة خيمة عرسها/ ضاع الصفاء..

رائحة الطبيخ. فاحت وتنبهت الى قدرها التي تركته على الموقد. تركت كل شيء وانطلقت بخطى غنوج الى المطبخ. كان الباب مواربا كأنه نهاية تعودت خوض غمارها يوميا انشغالها يجعلها تفلت بالنسيان من أشياء تصعب مواجهتها.. تذكرت ما حدث في بيت الجيران عندما شاهدت ابنتهم الصغيرة تسقط مع درجات السلم العتيق عندما مرت الطائرات، وأحدثت دويا هائلا خلخل الاعمدة والسقوف للبيوت القديمة، هرع الاطفال دون ان يعرفوا الى اين يتجهون.. ركضت الى ابنتها النائمة وقبلتها وهي تكتم دمعة نزلت بدفء على وجنتيها وعادت الى المطبخ دون وعيها في حلقة الدخان المتصاعد من الموقد الذي سخنت عليه طبيخا، أنزلت القدر دون ان تأخذه بقطعة قماش تحمي بها اصابعها من الحرارة، وكادت تسقطه.. اقتربت من جهاز الراديو راغبة ان توصل أليه التيار ليعمل وهم تهمهم قائلة:

-نشرات الاخبار لا تطل على المذابح؟

تناهى الى مسمعها صرير باب الحمام ، فجعلت تفريغ محتوى القدر في الصحون، وجلست متهالكة تنتظر .

-طعامك جاهز!!

قالت ذلك عندما سمعت ما أوحى اليها بأنه خرج من الحمام .

-(ما هذه الرائحة؟) كان يسألها :

-قطعة قماش نسيتها فوق الموقد؟

كأنه قال (لحم وشعر محروق. أمخاخ ونخاعات عظام ، أجساد تنز منها سوائل مخاطية بلون أخضر . دم مختلط مع الرمل صار بحيرة وحل. هناك جثث لا تقوى على النهوض /أخرى تحمل أمعاءها وتركض ، كلاب وقطط وماعز. أقدام راكضة في مكانها. مدينة تجمدت تحت الهلع كما تستقر الأشياء في الصور الفوتوغرافية).

-اعددت لك ماتشتهيه من الطعام .

(-أريد أن انام طويلا)

تقوست المفردات في الذهن بحكايات متداخلة . البرد يصل في العظام.تثاءبت وأخذت ترتب الصحون على المنضدة. صحنان من الحساء الساخن هنا، وبعض الخضراوات بينهما.. تعيش في كنفه راضية مرضية ، كم يسعدها رضاؤه. الليل الثقيل يطويها بسنابك خيل قوية. ملل رهيب يقتل الانتظار . دفات الرغيفين، وانطلقت اليه تستعجله قبل ان يبرد طعامه.. بحثت عنه

في الغرفة فلم تجده. طرقت باب الحمام ولـــم يجبـــها.. بهتت عندما لم تجده . انطلقت كالمذعورة من مكـــان الى آخر في البيت ولـــم تجـــده دون ان تفطـــن للبـــاب الخارجي الذي كان مقفلا من الداخل منذ نهارين!!.

مابين الحب والحب[٥]

(١)

أحس بالدوار وأنا اتخطى درجات السلم الحجري الذي يصل باحة الدار الواسعة الى فضاء البيت الكبير، لأقف حيال كل شيء اتلظى بالذكرى ، تعصف بي أشواق ملتهبة.

كل شيء من أثاث البيت القديم بقي في مكانه.. حرصت الحفاظ على إيقاع الماضي بطريقة قربت التذكر اكثر من أي فعل.. خصوصاً هذا " الحب[٦] " الذي تحدى زمنا بعيدا وبقي يذكرني بين الحين والحين يتطلع الي مشرئبا بوجهي ليعود بي اليها .. كانت لاتشرب الماء إلا منه، فلقد عودتها القرية على ذلك وحاولت جهدي ان اجمع بين ما تحب وبين ما يناسب المدينة . أمد يدي واغرف الماء من " الحب " الملآن ، تحتضن أصابعي قدح الماء البارد وتسري البرودة عبر الاصابع أتعجل الاجهاز على المحتوى .. تلثم شفتي حافة القدح البارد، أفرغه في جوفي دفعة واحدة.

---

[٥] نشرت هذه القصة في العدد الاول من الاقلام لسنة ٢٠٠١م.

[٦] كوز فخاري يستعمل لتصفية الماء وتبريده من العراقية الدارجة.

كانت عيناي تغوران في عمق صورة واضحة فيها التماعة غريبة لم افهمها .. احترت لدفق ذكرى مامن غور مظلم سحيق .. كانت أنفاسها تتسلق وجهي وعيناها تتلألأن بفرح حزين أرق، وبقيت اتأملها مبتدئاً بهاتين اللؤلؤتين الرائعتين ، وأنا أحاول ان أغمس كلي في مائها المطهر، ليتسنى لي التخلص من كل ذنوبي...

كان النهار باردا آنذاك ، وكنت أحس بالدفء والفرح وأنا احتضنها بيدي وعيني ، مثل طائر أود حملها اطير بها الى اقصى أمانينا.. لكن ذكرى أخرى جعلتني أنتقص بقوة بعد ان وخزني تذكرها، وهي تودع دنياها بوجه بارد بينما بقي مولودها يحرك سكون اللحظات الأليمة وكنت جد حزين وأنا اتأمل القدح الفارغ..

زمن غير يسير ، عبر علي . حدقت في مرآة نفسي ووجدت وجهي قد تشوه بالاتراح المتعبة .. حدقت في عقربي ساعتي وعهدتهما يتسابقان دون راحة. كنت استعيد صورة وجهي في السابق قبل التعب، أقارنه الآن، فلا اجد وجها للمقارنة ، فقد تبدل كل

شيء فيه .. بقيت أصابعي ترتعش قليلاً وهي تنزل القدح الى الطاولة..

كان الحر شديدا وكنت أحس بالعطش الشديد قبل ان أنزل:-

(مازال ظلك يفترش المكان فوقي ويقيني من الاشعة القاسية)

.. مذ عرفتها صار قلبي معها ..

عينان لامعتان بالفرح أغرقهما الحزن.. عرفتها هناك وجئت بها من ارض بعيدة . لا اكاد أتذكر الآن كل شيء، انتزعتها من بين الادغال الخطرة والقوى الهمجية التي كانت تقطنها..روضتها تدريجيا، فألفت المدينة التي بهرتها . تعلمت مني كل ماتسنى لها معرفته.

منذ ذلك اليوم تعشقنا الضوء وصار يفيض منا الى كل ماحولنا ، ينتشر على المدن والقرى ربيع كل الفصول ، سألتها مرة:

(- أتقبلين بي زوجا؟

-حتى ان عرفت بأني حامل من زوجي السابق؟

-المهم أني لا اقدر على فراقك لحظة واحدة ..

أقبلك)

... تشابه غريب اثار في نوعا من الارتياب .. حدقت جيدا، حاولت ان أحدد فرقا بين الاثنتين ، لكني لم أجد ذلك .

كانت العينان ذاتهما بحدقتيهما وجفنيهما، لا يمكن المقارنة بين نصفين متعادلين، لم تكن لي رغبة المشاركة بالاشياء حولي ، يأخذني الصمت نحو الحلم، وأسهب في الماضي أتوغل فيه الى ابعاد ليس لها قرار..

طفت بذلك الامل الجميل مثل طائر صغير يجرب قوة جناحيه اول مرة يوم ريح..

(٢)

بقي طويلا- القدح المليء بالماء المرتج بين أصابعها، كانت تحدق في صورتها المتحركة مع الاهتزاز الذي امتد مع سكون اللحظة..

عيناها تلمعان لمعانا غريبا كأنه سر تراه دون ان تفهم.. ريقها جف منذ لحظات ونزلت الى باحة الدار لتشرب من " الحب " الذي توسط كل المكان، وبقيت هي تتأمل الصورة المتحركة التي في القدح..

اخذت تقارن بين لحظات ارقها الثقيلة وبين عطشها الذي لن ترويه مياه الارض كلها...

كأن هناك جمرة تلهب وتحرق جوفها تود لو تأتي على ما فيه بحركة واحدة ، وتنتهي كل شيء ..

صدرها يرتج أيضا ، أنوثتها أيضا ..

هي لاتعرف سر هذا الضوء المنبثق من مكان ما وينعكس في عينيها ، يشدها الى ابعاد من اعماقها ، تحس بارتجاف شديد في أوصالها عندما تفكر بعكس الحنان الى شيء آخر ..

تفكر جيدا ومليا بالامر تجده أباً ليس ككل الآباء ، بل أجمل بكثير من كل الرجال الذين تسنى لها

رؤيتهم من بعيد اوقريب ، تفخر بابوته ، وكل خصاله . تفخر كأنها تخلص نفسها من إثم ابعد من الآثام التي حطت عليها برغم كل شيء ، وبرغم خطورة ما يذهب بها بعيدا عن البعد الحقيقي للموقف..

قرأت كثيرا وتعلمت ما شأنه ان ينور لها الكثير من دربها ..

أبوها يكثر من القراءة ويغرقها شارحا لها ما جهلت معرفته .. تعلمت منه وامتدت بها الآفاق ابعد مما حولها.. تلثم حافة القدح المليء ، لكنها تسمع وقع خطوات تتلاقف درجات السلم الحجري.

تسمع الصوت يقترب فتعرفه جيدا، وقع قدميه تعرفه. تدخل الى احدى الغرف ، فيمر الى المكان ذاته الذي كانت تقف اليه..

يغرف قدحا من الماء البارد تتأمله، ساهما يتأمل قدح الماء الماء البارد بين اصابعه.

تود معرفة كل الاشياء :

كوز الماء في مكانه لم يتزحزح سنتيمتراً واحدا عن مكانه.. بقي كعهده ، لان تلك رغبة والدتها.. أبقاه منذ زمن بعيد .

أي تذكر هو يتذكر ؟

تتوق الى معرفة ذلك .. من خلاله معرفة أمـــها.. تـــود ملء ذاكرتها من نزير .. تتأمل مرات ومرات صورتـــها في المرآة .. تقول عمتها انها جميلة مثل امها الى حـد لايمكن التفريق بين الاثنتين ..

تظل باقية في مكانها ومايزال جوفها ملتهبا.. لم تشرب الماء حتى هذه اللحظة .. يرتشف ٠أبوها) المـــاء بدفعة واحدة أحسستها بالانهيار والاستسلام للعطش .. يترك المكان وتخرج هي مقبلة ، لهفة نحو الماء .. تملأ القدح ذاته ، وترفعه ببطء شديد..

(٣)

أحس بالدوار يعاودني . كان شيئا جميلا .

(-نتزوج عقب الولادة .. لقد أعياك الحمل؟)

(-هذا الموقف اكثر نبلا!)

(- سيبقى حبي لك طاهرا برئيا في كل الاحوال!!)

(-هذا ما أحبه فيك أكثر !)

(-أحبك جدا)

فرك عينيه المتعبتين جدا، وتراءى له شبحها يقف عند كوز الماء يود الشرب .. حاول النظر بدقه ، ولم يفاجأ عندما رآها بقامتها الهيفاء تنير له أفقا يتمناه .

(٤)

كان يقف خلفها يرنو اليها بعينين غائمتين بالحلم .. اهتزت قليلا وارتج الماء في القدح .. لمعان لا يستقر يصل خط الضوء المنعكس في الماء ،الى عينيها، فيسألها:-

- ألا تشربين ؟

اضطربت ، احتارت في الجواب .. ماذا لو فسر النظرة بغير مقصدها ..

تتذكر قول عمتها :

-(هو بمثابة أبيك .. رباك ورعاك أحسن رعاية .. كان يحب أمك حد الجنون !)

ارتجفت أوصالها ، أختضت كما يختض الماء في القدح، انبجست منها دمعتان كبيرتان زحفتا على خديها نحوالارض ، لكن القدح الذي بين يديها تلقفهما ، فأرتج الماء أكثر !!.

عودة الصبي[٧]

كانت الدرجات الثلاث بعد الباب الخارجي مباشرة تصل الى فضاء ضيق مفروشة أرضيته بطابوقات حمر تراصفت بشكلها المعيني ملتصقة بعضها مع بعض، تبدو نظيفة مرتبة، ومنسقة تناهت عند الجدران التي مازالت مليئة برسومي وخرابيشي ملتقية بمثلثات هي في حقيقتها أنصاف طابوقات مربعة قطعت من أوتارها والصقت أسفل الحيطان في كل أنحاء البيت الذي كنا نسكنه. تقدمت الدرجات الثلاث وأنا احدث نفسي : كم مرة أنزلقت ولم يصبني أذى ، أمي تبتهل، وأبي يتفوه ((عرق ما يطقه)..

أيام سود جثمت مخيلتي عابرا طفولة أغرقها الغمر والبعاد، تدفعني سكرتي النشية الآن وصولا الى عمق المكان الموحش بعد ان كان مأهولا ومليئا بدقائق لم تسقط من الذاكرة أبدا.

رائحة بول نفاذة تزكم الانفاس تتخلل الدكنة الكثيفة للفضاء الذي كانت تملؤه كراسي ومناضد

[٧] نشرت في مجلة الف باء العدد ١٦٣٥ في ٢٦ كانون الثاني ٢٠٠٠

مصنوعة من سعف النخيل صقيلة وقوية موزعة بترتيب يتغير في كل مناسبة بتناسق جديد تحرص والدتي على عاداتها خوفاً من انتقادات جاراتها المعجبات بحلاوة ذوقها. كانت تحرص على غسل ورودها الصناعية، فتبدو كأن روحا طبيعية تجعلها تفوح برائحة زكية . وفي مرة أجبرت أمي- ابي ان يأتيها بقطعة قماش ملونة، كبيرة جعلته يتعطل نصف نهار عن عمله لتخفي الاسوداد في جذوع النخيل التي كانت مستخدمة في انشاء السقف الذي كان بين آونة وأخرى تسقط منه اتربة واحجار تفسد زينة المكان ونظافته.

الآن وبعد عشرات السنين تقدمت الدرجات الثلاث التي اعرف كيفية الخطو عليها ليلا ونهارا واجهتني قطعة القماش الكبيرة الملونة وقد استحال لونها الى اخضر يميل الى السواد وقد أختفت السماوات التي كانت منقوشة عليها والتي كنت أحلق باخيلتي على اديمها ..

سبحت في الظهاري القائظة صمتا مريبا قطع دوران مروحة الهواء المثبتة بمسمار فولاذي كبير الى الجذع الثالث المتوسط للسقف، وسبق ان صعدت اليها مرة ومددت بقلم (الماجك) الاسود العريض محاولا خط مستقيم أثناء دورانها، وسقطت من كرسي السعف بعد ان

تكسر تحتي، وبقي الخط حلزونا صار بعدها يأخذني الى عمقه وينطعني أتعابا مهولة كلما حدقت اليه أثناء استلقائي..

قال أبي مرة يهمس بأذن امي في ذلك المكان(لولا نجاحه في البكلوريا الابتدائية لما قررت أخذه معنا الى بيت خالته).. تلك المرة الاولى التي خففت فيها من فظاظة طبعي وحراكي العبثي . تركت عناقيد العنب المدلاة من الكرمة العالية التي توسطت ساحة الدار،تنضج. ولم ادع احدا من اخوتي يمسها ، ولم أعبث يقفص الطيور البيض التي كان أبي يجمعها ويتسلى بها فوق الدار.. كنت متحمسا لان ارى (هدى) بنت خالتي التي قال لي عنها أحد اصدقائي في المدرسة (هنيا لك عندك احلى بنت خالة)..

جمرات من الوجد تشي التذكر، حسرات الاماني المعتمرة من ليالي الغربة جعلتني أقف مبتسما كأني في حلمي ذاك وفرحي الطفولي ذاك. فتحة ما في السقف الايل للسقوط تحركت اليها عظاية صغيرة بلون لم أميزه، فتساقطت على ام رأسي نتف احجار وتناثر غبار جعلني اسعل بصوت كالجلجلة كأنه صوت ابي ذاته يرعد في المكان..

كانت عيناي حذرتين الى الارض ، خوفا من افاع تلدغني انتقاما مني بعد ان كنت لا ارحمها ايام ذاك ابدا.. أكوام صحف صارت أوراقها صفر متهرئة ، ومكومة في الركن الذي كنا نضع عنده جهاز الراديو الكبير ذا الاطار الخشبي الموشى باللون الذهبي، بركة من براز نتن كأنه قد ترك قبل دخولي بقليل.. قفزت مثل ذلك الولد الذي كنته لا تمله النسمة فيطير معها ، ولا يحجمه الحبل، فيفلته كان أبي يوثقني الى الشجرة الغليظة التي زرعها والده، وظلت وارفة، عند المغرب تعود اليها العصافير التي بنت اعشاشها بين أيك الغصون المتشابكة، وكنت غالبا اصعد الى اعلى غصن لامسك بصغار الحمام الفاخت و أدجنه مع طيور أبي البيض ، وما كنت أنسى اعشاش البلابل المغردة فما ان تفقس حتى انزلها و أربيها كما يفعل ابواها، فكنت اشربها الماء من حلقي وألقمها نتف الخبز الصغيرة، واعملها أنغاما أحبها لتعيدها الي بصوتها الشجي، وما إن تبلغ العام حتى ابيعها بمبلغ يأتيني بعلبة سكائر مطعمة بـ (المينثول)، كي أدخنها على سطح الدار، او بين الازقة اثناء عودتي من المدرسة.. خطوت الممر متمليا الشجرة المتمركزة في حديقة الدار اوراق متناثرة ملأت الساقية

التي حفرها جدي لتدخل من تحت السياج بالماء وتسقي الاشجار المنتخبة بقيت منها هياكلها اليابسة . ملابس قديمة مهترئة ومجعلكة .. علب صفيح صدأ.. برك رصاصية تنق منها الضفادع ، وأصوات صراصر لا تنقطع .

كان أبي يجعلني أتوسل اليه من شدة الضرب المبرح بنعاله المطاطي بينما أمي تحاول منعه كان يدفعها لتقول له(يالك من اب قاس)، وان هو يقول لها لاهجا بهستريا (هذا ليس ابني .. ابن عفريت).. اعده ان لا افعل مافعلت مرة اخرى لكنه يزيد بضربي ، فتعودت على السكوت مهما ظل يضرب بي. مرة لم يكتف بضربي وتأنيبي وحسب بل تركني طوال ليلة حتى الصباح موثوقا الى جذع الشجرة ، وكان البرد يصل بالعظام .

حاولت فتح اكرة الباب المفضي الى الحدقة فلم افلح بعد ان هززته بقوة جسدي الستيني الواهن. فتركته مكتفيا بالنظر من خلال فتحة الزجاج المتكسر، ورأيت تصاعد الادغال وأعمدة القصب حول الشجرة، فم أتمكن من رؤية ساق الشجرة المتينة المحزوزة بالسلسلة الحديدية التي كانت تقيد كلب جدي. أتذكر شعره الذهبي الناعم وغرته البيضاء حد الرقبة ونهايته المؤلمة

عندما سقطت مني دون قصد حاوية الغاز على ظهره وقصمته حينما كنت اجرب عمل العتلات والبكرات مستفيدا من الغصن المتين، الذي كان شقيقي يستخدمه ارجوحة ويلعب بها مع اخوتي .. نظرت الى مكانه وكأني أراه في اللحظة ينظر الي بلوم شديد.. بعد ان كان ينعم بالفيء الرطب البارد نائما قبل ان يصاب وبقي اياما بلياليها يعوي كأنه توسل من اجل الموت بدلا من عذابه الممض، بعد ذلك اعطاه عمي قطعة حلوى مسمومة ظل بعدها بلا حراك حتى حملناه في كيس ووضعنا معه ثقال من صخرات عدة ثم قذفناه بالكيس الى عمق نهر (خريسان)[٨].

نظرت الى شباك الباب عندما لامستني رطوبته ورأيته منخوراً اذ جعلته الارضة بغصون واخاديد مقرفة، ففي الشتاءآت القارسة كنت أقف وانظر من خلال زجاجه النظيف وأمسح الماء المتكثف على سطحه وافرك يدي بالاخرى.. نظرت الى الحائط القريب الذي كنت أستذكر دروسي عليه بقلم الطباشير وكان سرب من النمل الاصفر

---

[٨] نهر صغير يمر في مدينة بعقوبة محاذيا لنهر ديالى العظيم ويصب فيه.

قد خطا الى اعلى واسفل جيئة وذهابا.. رأيت العبارة التي خطها خالي بفحم البطارية، وقرأتها بصوت عال:

(A dog will not cry if you feed him with a bone)

كنت وقتها احفظ صورتها واعيد كتابتها دون ان اعرف معناها. تسارعت دقات قلبي عندما سمعت وقع اقدام وصوت همس أتى من عمق المكان..أوقفت تنفسي المتحشرج لاميز الصوت . أنتظرت لحظات دون ان اسمع شيئا آخر، فهممت محاولا الخروج من البيت الخرب الذي اصبح آيلا للسقوط.. الحيطان باتت قريبة من بعضها، وكانها ليست كما كانت في السابق برغم اني قد تركت ذكرياتي في كل جزء منه، أخذت الهمهمات تقترب اكثر حتى صارت تأتي من الغرفة المغلقة التي لم افكر بالتقرب منها لانها خصت شقيقتي المتوفاة واغلقها والدي بما تحوي من اشياء وكتب ..

(بقيت مع غرفة الاستقبال ولم يسقط سقفها)

كان الاخطار بهدمه قد وصل ليلة البارحة ، وعلي البت بالامر عاجلا. وقفت في الفضاء متنفسا بعمق وكأني احمل كتبي ودفاتري مستعدا للذهاب الى المدرسة، الاصوات أخذت تتبين وكأنها وقع خطوات تأتي من

الظلام العميق، وبعد لحظات تبينتها لصبي بصحبة رجل .. شاهداني ثم هرب الرجل وخلفه الصبي متخطين الدرجات الثلاث بقفزة واحدة، فتذكرت تلك الليلة التي طردني فيها والدي الى الابد .

محمد أحمد[٨]

أنا الملك..

اضحك واعترف ثمة فاصل بين الحقيقة والحلم .. لست حالما، لكنني ملك متوج بوجع خفي يقدحه قلبي المعتصر ليغذقه عقلي بأماني تعيض عن القصور الذي يمتد حاجزا بين الهواء المنعش الذي سمعنا عنه..انا الملك المتوج على اواني الصدف والياسمين المنقوش على زمن رخو فيه براءتي من هيجان الهوى والخطوات الحيرى.. لاتضحكوا فقد ملني الدور الهزيل لذي يدور بي عبر حانات شارع هارون الرشيد، اطوف حول نفسي مثل سمك قرش جريح.. احاول افتراس اجزائي..

انا الملك المتوج على حضارات الهم الهاملتي، والرؤيا البعيدة في عالم هش لن يثبت في صورة واضحة.. أقاوم الصداع والتصدع، واخيل على جزر الحلم البعيدة غائرا غازيا بلا رحمة انهش لحوم الذين ينقسمون على انفسهم، فأعبر من نفسي الى نفسي. أعود

---

[٨] فازت هذه القصة ضمن المجموعة الاولى في مسابقة القصة القصيرة التي اجرتها مجلة اليوم السابع عام ١٩٨٩ ولم تنشر حينها. ونشرت في مجلة المسار التونسية في العدد ٤٠ الصادر عام ١٩٩٩.

متأنيا في خطواتي الليلية ومترنما بايقاعها على الاسفلت الاسود.. احاول ان احرر نفسي - بدايتي واصوغها بأغنية في موال مع الماء الذي تنثه السماء على وجهي فأنتعش قليلا، وابكي للشجن الذي يملؤني حنينا الى ذكريات مع حلوة العينين والتطلع ..

لا تحاولوا ان تحركوا الماء فله سكون. والحركة تطوحني بعيدا كشقة صغيرة.. لاتضحكوا ولاتمتعضوا .. فأنا اكون ملكا ساعة أريد، أودع عرش المملكة ساعة اريد.. احرك يدي في الهواء أتناول تاجا وهميا مرصعا بالماس والياقوت وهو الاحمل عندما يبرق الى البعيد ويلم كل المهووسين بجمع النفائس، وتجرني الرغبة في بيعة لابتاع بثمنه رفاهيتي . لكن، اعدل عن الفكرة الحمقاء امسحه بكم قميصي ليلمع وأضعه بتأنق وبهاء .. أسير كما يسير الملك الحالم ، اخطو بين الحضور المعجبين بفخامتي وجمال طلعتي . أحرك يدي في بعض الاتجاهات بعدل محسوب وأوضح لكل الخلق المكنون من رعيتي ومن الوفود القادمة لتهنئتي .. أتحول الى عرشي وأباغت الظلمة بنور وضاء .. أقاوم ديجور الصعاب بالسهل المقنع حتى أريح هذه العاصفة المكنونة تحت عباءة الضمير.

أمر على المزارع ، واهديها موسم الحصاد الدائم.. أفك طلاسم الجراد الهائج وأمزق العصافير الجميلة التي تسرق الحبوب والبذور التي يزرعها الفلاحون، وأباغت الشر بالشر واحول الفرح الى عمومية كل الاشياء أنسى مباغتة الملل المتسرب مع كل شيء .. ويمتد المشوار طويلا أمامي تتعب اليد من المصافحة.. تتعب الاعضاء من الالتزام ، وتموت الرغبة في إكمال الرحلة الملكية في شارع هارون الرشيد الطويل.. أحاول ان احدد حزني لانقض عليه بحركة واحدة..أهزه قويا عساني ان أتقذف عن حافته . لكن بلا جدوى فاعود الى تقمص الدور كله.. أمد أصابعي نحو المشجب الملكي، واخذ عباءتي لارتديها، لكن الملل.. الملل، كما أنا أمل من نفسي واخرج من جلدي وأبقى وحيدا بلا مملكة ، وبلا صديق.. يأخذني الجنون الى حيث التصابي بالجنون.. أنا الملك الوحيد الذي يعلن مللة.. تعبه من دوره الرتيب في الحياة.. تذكرت صمتي الذي تفجر عندما كنت ملكا متوجا على ميدان من النمل، وحاولت ان اعبر تفاصيل الحلم حتى هاجمني النمل الذي احاطني على شكل دائرة وبقيت أدور،وأدور مثل عقرب ساعة اعد الزمن. كان جسدي يتهالك من الزمن الشائع الذي قطعته

ركضا على رقعة واحدة يملني الفزع الرهيب من النمل إصراراً على إكمال دوراتي ..

انا الملك الوحيد على هذا الجسد الذي يتمنى ان يأتيه احد ما ويشتري منه وهمه البعيد وكي يعيش مترفا بعيدا عن الحزن الطالع فيضا. لكن لا احد بالغباء الذي يتمنى.. حيث لا احد يشتري وهما - إلا واحداً اقابله يوميا في مرآتي يفيض به النرجس الى حد الجنون القبيح اللامقبول .. يهزّني الموقف العام لجمود الاشياء من حولي فأقف منتصبا بكامل قامتي التي احناها الدهر والتشرد والسهر والملل والحيرة والجنس والاحباط والتوجس والموت المتكرر .. اقف عند أعلى رصيف واخطب في الجمع.. أحاول ان أمد في حدود مملكتي فأجد نفسي بعد حين وحيدا على سرير قذر في مستشفى قديم ، يطل علي الفزع من الجدران الكابية اهرب من النافذة الصغيرة مثل كل مرة عائدا الى الشارع (يهرب مني منقذي دون ان يلوم نفسه) ...

أنا الملك الوحيد واعترف بان سطوتي على حدود ذاتي ليست بحسبان ولكن سطوتي على شهوتي هي التي تفلت مني وتضيعني في بحار جمة من اللذات فأسقط سريعا واتبدد مثل تكسر قدح من خزف..

تجررني الخطوة بعد الاخرى حتى اعبر كل الخطوات سريعاً مثل ضوء، فأكاد اصل الى نهاية الشارع لاعود من جديد الى بدايته متأنيا بين الخطوة والخطوة افكر في كيفية الاستسلام للحلم والبعد المثيولوجي للهم الذي يرهصني حتى اجتازه وأشير له بيد واثقة بالسلام دون ان انتظر بأن يرد علىاحد ، فأجمع نفسي وأطلق شتيمتي بلا هوادة .

أنا الملك الوحيد الذي اضاع خطواته ، وسار بلا خطوة هدية أتابع نزفا من الدم على واقع مخضب بلحظات الغبر ولحظات الغمر التي باعدت بين النضال وبين الجهاد.

يأخذني الضحك ، وتأخذ أيدي الناس شكلا للسخرية فأتصور انهم يحيوني ، فأرد على تحاياهم بمودة.

انا الملك الوحيد الذي يعترف بأنه ليس وريثا شرعيا لهذا العرش فلا أبي كان ملكا ولا جدي.. لقد فرزتني المصادفة وقربني القدر من العبث وباعد في نظرية التسلسل، فلم أسير على نهج كل من سار على الدرب وصل ؟ سرت على درب المصادفة فرفعت من شأني عاليا فتوجت على عرش يستحقه الكثير من ابناء مملكتي .. لكني مفوض على المصادفة محبوب من

نفسي لنفسي لا ارضى الا بهذا البهاء المشبع بمسك الورد الذي دفعت ثمنه غاليا ..

كنت مبهورا في طفولتي بالرمل السحري الذي افترش شاطيء نهر شهريار.. اتابع بعينين ذكيتين لمعة الفرح الذهبية التي تلألأت على الهامش الحياتي الرتيب.. وحدي اصنع لنفسي جيشا خياليا وابتكر حروبا منتصراً فيها على اعدائي لذاتي العب وحيدا تكتنفني الوحدة والتسكع .. احفر في الرمل بحثا عن المحار الذي سمعت عنه انه يحتوى على لؤلؤ نفيس بثمن غال جدا متشوقا لايجاده،ابحث ليلا ونهارا بلا تعب او ملل واحدق صوب الافق الجميل الذي ينام قريرا بين السما والماء .. وأطلق الاماني بعد كل اصيل عندما يبدأ قرص الشمس تدريجيا باختصارنفسه خلف الماء والابعاد.. حتى تحقق لي بعضا مما تمنيت اذ اصطدمت اصابعي الصغيرة بشيء صلب مدفون تحت الرمل. واخذت احفر واحفر حتى ترمدت عيناي فأخرجته. كان شيئا معدنيا يشبه الساعة .. فرحت به كثيرا ورحت أنظفه مما علق به من طين ورمل وبدا اكثر لمعانا.. كالساعة التي يضعها ابي قربه عندما ينام لتوقظه . ويذهب الى عمله بعد ان يوقظني لاذهب الى مدرستي.. كم كنت اكره تلك

الساعة وكم فرحت بهذه؟!رحت أعدو سريعا بها الى أمي عسى ان تعلمني كيفية اللعب بها .. تعثرت خطواتي كثيرا قبل ان اصل، فبدت المدينة القريبة بعيدة فلم اطق صبر الوصول .. بدأت اعبث بمفتاح جانبي لها وحدث الذي لا يصدق فجأة طفر ضوء ازرق الى ما حولي واغرق المكان وبدأت الالوان تختلط مع بعضها فلم اعد أميز شيئا من الازرق الى الاخضر .. من الابيض الى الاسود، ثمة هواء بارد اخذ يهب علي فأحسست بالهواء يشتد تدريجيا ويتحول الى عاصفة ثلجية أخذت تحوطني مثل كف كبير بأصابع ملساء، تحملني عاليا وانا اقف منتصبا بكامل قامتي . الريح تصفر بشكل زئير مخيف يأتيني من كل مكان.. ارتعشت له اوصالي، غمرني الرعب.. حلولت الصراخ وخانني صوتي.. ارتجفت بإيقاع لم افهمه اختصر علي الزمن القادم البعيد . أحسست بحرقة سائل يسيل من بين فخذي دبقا وكثيفا جدا.. عيناي تتابعان كل الاشياء التي تتغير تغيرا مفاجئا .. تراقب الملابس الطفولية وهي تتمزق من على جسدي الصغير، الذي اخذ يكبر!!، كان الزمن يعدو سريعا.. هالني ما نبت من الشعر سريعا على صدري وتحت ابطى كما لحيتي وشاربي، وثمة ما في نفسي تكبر وتكبرحتى امتلأت ايمانا

و أخذت شفتاي المرتعشتان تستقران وتثبتان.. حتى انطلق صوتي قويا وعاليا.. تغيرت فيه نغمة الطفولة الى صوت رجولي حاد.. كان الماء يتصاعد تدريجيا ويتكون موجة بعد اخرى ويتشكل في صورة حصان جميل. كانت الالوان تمتزج على هيئة باكورة جميلة تسكن الى يدي اليسرى، وتقاطرت السحب البيض واحدة تلو اخرى وتشكلت كثوب ملكي بهي .. كنت مبهورا وغير مصدق للذي يحدث، مستسلما واكثر إصرارا لمعرفة ما يمكنني معرفته.. كان كل شيء يدور بسرعة رهيبة كأنها تود اختصار الزمن الذي كان راكدا.. كأن الطبيعة تعدني اعدادا كاملا تملؤني العزائم التي أخذت تتدفق الى عقلي .. كنت متوجسا واقفا حيال الامور بوجل ورهبة وتقبل !! .

بدأت أحس بثقل يدي وقوتها الخارقة .. كان الحصان يعدو الي سريعا من نقطة في الافق .. يصهل فرحا ودلالا.. تعتلي صهوته تلك المرأة الجميلة ذاتها التي رأيتها في الافق تنتظر وحيدة وحزينة .. في البدء لم ار سوى عينيها فلم الحظ ذلك الجمال البهي الا وأسرتني تلك النظرة.. كنت احس بانجذاب نحوها، انجذاب (هاملت) نحو (اوليفيا).. فأخذت تبتسم بغنج يجر

قلبي دون عقلي ببراءة .. كان حزنها تبدل الى فرح بهيج كأنني واعدا إياها ما تتمنى .. كانت نظرتي نحو الاعلى ولم انظر نحو سطح الارض.. أخذني الموج عاليا.. وامتلأ رأسي خبرة، وامتلأت جرار روحي بالسائل الحياتي إكسيرا للحياة بعد ان اتعبتني السرعة غير العادية في تلقي المعرفة.. كانت المرأة تتقدم نحوي واسقط سريعا متقلبا في الهواء وهي تنزل بثبات وقبل ان اصل اثناء تطوحي في الهواء كان قد استقر في يميني سيف ملون بألوان قوس قزح.

كان شارع هارون الرشيد آيلا للخلو ، تدريجيا من المارة وكنت وحدي اعبر خضم خلوتي بلا نفاد للصبر والاصرار يفيض من عيني كما الدموع ..

انا الملك الوحيد الذي أعطى الفرصة كلها لغيره ليلم اشياءه، وينصرف راشدا فأنا الوحيد الذي اتمنى لو اصل الى عرشي دون اراقة دم واحدة.. وأنا من منح الملك السابق الفرصة كلها دون ان يتمكن من اثبات الجدارة لمسؤوليته هذي الرعية التي ملت منه جوارا وألما. توحدت اللعنة عليه وصارت النقمة كامتداد من الحب الذي تشكل زمنيا مع روح العصر. فاضطر الى جمع كل ما في المدينة من الات تعد الوقت وتحسبه.

وبدا يتلفها الا واحدا لم تفعل بها السبل شيئا ولا تتلف على الرغم من كل المحاولات العنيفة.. لاجئا الى دفنها بعد ان تمكن خبراؤه من ايقافها ..ومرت سنوات بعد سنوات مر زمن ثقيل على المدينة فاض بها الكيل من الجور.. حتى دفعتني المصادفة للعب والتمني على الشاطيء وتوجتني السماء ملكا بديلا. أقصيه عن العرش مطهرا الوجود بسيف من خير .. جسدي بدا خفيفا. وأخذت خطواتي على الشارع الاسفلتي اكثر سرعة في التقدم من قبل . انا الملك الوحيد الذي بدا بالخير الشامل لكل الناس وكسر كل القوانين والقيود محطماً كل السجون التي انشأها رسيلي السابق، مانحا إياه الفرصة كلها عساه ان يراجع نفسه ويوقف الزمن في ساعاته التي نهضت من الهشيم، دقت مجمجمة بقوة ملأت المدينة دون ان يعرف احدا من أي مكان يأتي الصوت.. بقي يائسا .. جند له كل جنده وحراسه ومحبيه فلم يستطع إيقاف الصوت المدمدم، وانا أراقب كل مايحدث وانتظر لأتسلم مهام عملي بلا عناء.. كان موته يتقدم كلما تقدم الوقت سريعا مختصرا كل السنوات الباقية من عمره. الحظ فشله الذي حط فوق صدره، ويمنعه من تنشق الهواء المنعش.. عهدته مضطرا الى فعل أي شيء

ليوقف الزمن، وواعدا بالموت الزؤام لمن لم يطع! فأخذ بعضهم الخوف بعضهم الآخر بقي نائما كأبي الذي بقي يشخر شخيرا عاليا ومتواصلا واضعا ساعته بالقرب من إذنه تعمل لتوقظه في الصباح..

كانت المدينة الساعة تدق والوقت يتقدم بقيت وحدي أتجول بخيلاء في شارع هارون الرشيد، ملكا متوجا على البدء بالوقت والانتهاء بالحلم، محكما الخوف الازلي الذي يمتد بخارطة الوجع على أوهام الرهبة والاستلاب الجذري .. يتفتق الشارع، يحدث فيه شرخا واسعا وتتدفق المياه فيه بقوة .. يمتليء حوضه بالمياه متحولا الى بحر حقيقي.. اغرق فيه وكل احلامي .

وانا الملك المتوج على كيان نفسي منعتقا من كل القيود الآنية التي باعدت بين نفسي وانطلاقي الى املم (دون ان يعود احدا بي الى المستشفى) .

انا الوحيد المرتجل خطواتي مفلسا من كل شيء أصوغ ما احتاجه حلما دون ان اسمح لهم مثل كل مرة ان يحملوني قاذفين بي الى خارج حانتهم، كما يلفظ الوسخ من فيهم.. ودون ان تظللني الحقيقة فأبقى جائعا متسكعا أرقب فيض الآخرين .. فلا تضحكوا .. بل صدقوا أني محمد احمد الملك ، الملك ، الملك ...

السائس [٩]

... ما لقلبي الذي يكسره الشموخ ..

ويلي من تعب حط رحاله في أول النفس، وجر المواقف الثقيلة.. ويلي من حزن فوق الركام الهائل من الاضطراب والعبث اللا مستقر.. تمر فوقي الاف الاشياء.. تعبرني وانا مكبل بطل من ياسمين .. وركام احداث تصاعدت في لجاي معابثة في كل الحقائق . تمردت على ركائزي . من الذي يصد بوجهه حبيبه؟ تمر فوقي سحب كثيفة تدفعني دخانا ابيض ينفثني في وجه بداية تمرغت العيون بها، تعودت النسمة الباردة ان تفج الصدر المثقل بالتمني .. ويلي من وجع فوق الاوجاع وابتكار فوق الدمار المتكدس في اعماق لهيبي ؟ كنت في الليل احمل بعضا من أشلاء نثرتها القذائف . بعض أيد وبعض أرجل.. نتف من أجساد أباحتها الاحتدامات والانفلاقات متصاعدة بها الاغوار المميتة الدائمة،تلك. رائحة التعفن، ولون الجلد المزرق/ الجسد المنتفخ.. أراه عند اول ومضة من طلوع الشمس في الليل .. كنت أرى الورد

---

[٩] نشرت في صحيفة الاتحاد الاماراتية بتاريخ ١٩٩٩/١٠/١.

موقودا في صهاريج الابتلاع والدمار .. كنت ارى النهار مسودا بالدخان المسربل بالزؤام ويلي من بدء غاضت بـه الذكرى على امتداد فج الحلم بالوعد وتاخر الفجـر ليلـة الزفاف!

الساعة متأخرة من ليل متواصل الغناء والسـهر وومضات الصواريخ جرس هاتف يرن بوحشية كسـرت بعض تواصلي بالشكوى والحلم الذي يلاحقني من حقائق عشتها بفجيعة حرب عليها سـنابك تدوسـني بـأجزاء الذكرى ، والانتظار لشقيق ترقبه القلوب قبل العيون.

-(لعله هو)

قالت ذلك أختـي بريبـة .. الليـل غـزا عينـي المسهدتين، وتصاعدت من فمي رائحة خمـر عتيقـة .. ورفعت السماعة وكادت إغفـاءة تـأخذني كالفيضـان .. فاجأني الصوت من بعيد مثلجا بالتوتر، حادا متواصلا. كان متأكدا من بغيته، يهدر بكلمات توبخني كأبن لأب أمتصـه داء السكري وتلوث جرحه بداء فتاك.

-عليك ان تكون حاضرا الى جانبه ايها البكر العاق.

-مفردة البتر حطت على صدري ككيس من الرمل، وكـاد الثقل يوصلني الى المـوت... عينـا شـقيقتي الحذرتيـن

ترقبني، وتراقب مايحدث لي وهي تكتم ضحكاتها .. تنبهت الأخرى الى صوت صرير الباب فقالت مهللة :

-جاء اخي

ويلي ياوجعي المثقل بالوسن والسهاد الطاغي.

ويلي من عربة تجري خلفي نحو المنحدر/ علي سحبها عند الصعود.. ازدحم المدى وغاضت فيه الامنية بالنرجس، الليل جر خيوطه المسهدة، وبانت خيوط الفجر مع اطلالة قامته الطويلة عيوني في الارجاء تداري فشلها المر.

ويلي ياوجعي المغرق في ختلاجات دوحى بالاسفار والاحلام /العشق الصب...

-ألم يأتي الزوج لأخذك ؟

جثت هي كقطعة خانعة، وأنزلت عينيها الى الارض. كأنها تحاول طمس سؤاله، فصرخ بها

-ألم يأت؟

إنفجرت باكية ، منكمشة ثم قالت له

-لن أذهب حتى لو قطعتموني

-قل له ارجوك ان يكف عني

ضحك بوجع مردفا

-ليته يجد حلا لنفسه.

تحركت عيوني صوبه فسكت محولا كلامه اليها من جديد بعد خجل ..

(لا بد لهذه العائلة المشتتة من اجل!)

-من كان معك على الهاتف ؟

-الطبيب يطلب قنية دم

نهضت قائلا:

-ليأخذوها مني؟!

- سيقطعون رجله اليمنى هذه الليلة .

تفجر الهم على مساحات الدروب، تصارع الموج بالذكرى/الألفة التي أفقدتني عقلي سرت عفويا الى خياراتي.. صارت في دمي تناديني ، فوجدتها سراب. ارحل في المتاهات/صوبها دون لقاء/ تصهل في الدم.. تخالني/ دون إشباع /يتفجر الجوع ضياعا/ متسرمدا/ متلفعا بوحدتي ووحشيتي.. ويلي ياوجعي العابث/ تحديات رخيصة بقلب مرير في زمن أرعن تناثر فيه البراز على الأجمة ...

.. في المشفى كانت أمي الخرساءتنام مرافقة لابي الذي هدده الوباء والداء . قال نزيل مجيبا على تساؤلات أخي:

-أدخلوه غرفة العمليات :

جاء الممرض مكملاً :

-سيخرج بعد ساعتين!

قلت في نفسي سامنحه دمي/ عمق هزيمته بي، فقد جاءني للحصاد على ارض بور.. تناظرت الاوقات، تركنا شقيقتنا في البيت لوحدها ..

من الذي يصد بوجهه حبيبه؟

رفض شقيقي اصطحابها ، بقوة..فلم أتدخل كالعادة!!

شمر هو عن ساعديه، ودخل الى غرفة مجاورة ..

(بعدها أخذوا منه لتر دم)

أخذني النعاس / تمددت على أحد الأسرة الفارغة .

بكت أمي نشيجا متواصلا مثل كل مرة .. الزمن الرخامي يعدو، كنت استدرج احلامي الوردية التي لا تأتي ..

ما لقلبي الذي يكسره الشموخ/ما الذي لا ينتزع الاللحزن..

-انت اصح .. خذها وأدفنها خارج المستشفى .. أخوك سقط مغشيا دون تحمل.. تسربلت احمل جثة ساق/ اتخطى القذائف/ الهزائم الماحقة .. احمل روحي على كف/ أنقذها بآمالي الكبار. جثة هناك، وأخرى هنا.. جثتان بين كل جثة.. الأيدي متناثرة، الأرجل متباعدة. المقبرة ما اكبرها .. مكشوفة ..

رائحة زنخة تفوح من الذي أحمله.. حفـــرت لـــها /كمـــا حفرت/دفنت..

نسيت نفسي - وعدت في ليل داج ..

شقيقتي إنتحرت ..

لم افجع /لم أبك / لكني زأرت ..

اواه

ويلي ياوجعي المنثور أحباق زنابق وفتقات اصداح

ما لقلبي الذي يكسره الشـــموخ بـــالبطلان ، دون فجـــر تسلل..

الظل الموحش[١٠]

عينا أبي تطالعاني وأنا حائر بين الانتظار المتراكب البطيء والانفلات تخلصا من رتابة المدى الغريني المائع الذي يمتد محيطا بي كسائل لزج مخاطي- اكتشفته كما تكتشف حشرة وقوعها بعد فوات الأوان في شبكة خيوط العنكبوت فلا مناص من الاستسلام بعد ان عجزت السبل.ابدأ بالتثاؤب موسعا فمي لمدى ابعد من صرخة ملل..احدق من خلل الظل الممتد لرأسي مع ظله المتطابق على حائط تحول لونه الى فوضى اتساخ ورطوبة.. عيناه تشرئبان من فتحتين واسعتين، وتنشران علي خيوطا وهمية تقيداني بنظرة تحد من حيويتي، وانا اتألم كثيرا. رقبتي،عيناي ، أنفي ، ذراعاي، ساقاي، وقلبي.. الألم يمتد انتشارا في كلي، ويتعشب بامتداد الحلكة القاسية التي اعانيها من جراء كآبة مغرقة لم تجعلني متواصلا مع مايحيط. ابتديء بالفراغ، وانتهى بمشاكل الكينونة المفردة

---

[١٠] نشرت في مجلة الف باء العراقية في العدد (١٦٧٧) بتاريخ ١٥/١٠/٢٠٠٠م ، ونشرت في مجلة قصص التونسية في العدد ١٣٣ الصادر بتاريخ ٩/٢٠٠٠م.

بالوحدة وعلاقتها الضعيفة بما حولها، وماجعلها مخذولة، معزولة بين جدران تقترب من بعضها كل لحظة فتكاد المسافة في كل لحظة اكثر ضيقا، واكثر ظلمة.. انهض متثاقلا. عيناي تخترقان الفتحتين الصغيرتين وتخترقان العالم. افتح النافذة فيأتي لغط الشارع، ويملأ الغرفة صخبا.. يبدأ معي الصداع الذي لا أطيق جولة البارحة حولتني الى عجين، ذابت روحي في تفاصيل أرق قاتم وحلقت حولي حمامة.. جناحاها الابيضان، زنداها البضان دفأني بالريش النظيف وجعلاني أطفو منها ولم اعرف كم من المسافة قطعت فوق القطعان الشاسعة المليئة بالبهجة والخضرة النظرة ، المفعمة بالسحر الاخاذ سهولا، ووديانا.. وجبالا، وهضبات.. حلقت فوقها، واقتربت منها حتى تمازج كل ما فينا الى حد التوحد فأهتزت ابداننا طربا كأنها رقصة ارتعاش أزلية جسدانا امتزجا مدة من الزمن، وقفت كل ما فينا من ساعات بايولوجية ، ننهض متعلنقين حد الانصهار وننزل نتمرغ بعضنا ببعض تهم بي حفر بحلمتيها النابتتين بصدري المنتشرتين على كل أعشابه المستفزة المتحسسة.. اهم بها إيغالا نحو العمق الدافيء فأولج كل ما في من هياج، وقوة وتحركا أعيث بالفحيح الذي يلامس مسامات رقبتها، ويندغم بصرخات التوجع

المرهفة.. كنت معها احس بالوقت محسوراً بين اصبعين ممتدين كجسر فوق نهر دفاق .. كانت تبتسم لي وأنا ألهو بالرضاب حتى ودعتني اهبط امانا على ارض من الغرين الهش دون صحو. الألم يتشكل في تواصل لا اعرفه.. الشمس القاسية تخز رقبتي، تنزل خطوطا مستقيمة الى عمق اوردتي، متعودا على لسعها . الارهاق يملؤني عياء. أعصابي مرتخية وعيناي تدوران في كل اتجاه بلاجدوى. مقيدا بالسحر الذي تبثه الشمس فارفع وسادتي وادفعها في فتحة الشباك. يقل الضوء .. تتضاءل الاشعة فأستسلم للبرد المفاجيء.. احار في كل الاشياء والاحوال.. عيناه تمتلأن بعلامة السؤال الذي لا ينتهي :

(-هل ترى عظمة ابيك ؟)

يجيء الصدى كضحكات من زمن بعيد سحيق يرمقني بنظرة دافئة احسها تلامس وجنتي كقبلة حنونة.. يعود الى عمله ساهما واجما، متحركا متنقلا هنا أو هناك يتلمس أذنيه تاره، واخرى حاجبيه ثم قارن النظرة بالمرآة الكبيرة الموضوعة امامه وهو يقول :

(-سيبقى ارثك!)

اسبل عيني ، وأسهب في تذكري يتلمس فروة رأسي ويمسحها برفق ابوي حنون، ثم يخرج من تحت

السرير قنينة تفوح منها رائحة غريبة ويمجها برغبة ، وقلق: عيناه تراقبانني، بل تقيدانني. أتابعه يرجع القنينة الى مكانها، ويمسح شاربيه ثم يبتكر سؤالا للمشاركة في عبور الوقت الذي يتسع لكلينا، هو يعمل بجد وانغماس. وانا يأخذني الملل.. عيناي سالكتان درب الغبطة، ارسم الفرح على قسماتي في الليل المتوغل نحو نهايته بالسهر. عيناي توجعاني. أحدق من خلال مرآته ، اجدهما محمرتين بلون قان مريب. ابتسم على مضض لأجله ارسم الفرح على وجهي ليحسه بفعله الذي لاينتهي . كلما يراني منغمسا معه، متعاطفا يتقدم في عمله وكلما ابتعد قليلا عنه اجده ثائرا علي لأتفه الاسباب فتعودت ان لا ابتعد عنه.. ان اكون الى جانبه كما يريد عيناي مرآة لعينيه والصمت متكسر تحت ضحكته الحادة التي تجلجل في الفضاء.. يعمل بمبرده الصغير محددا حاجبيه بأزميل حاد. اضحك واقول ممازجا:

(-تمثالك لايشبهك؟)

(-انتظر وسترى)

(-لو تركته بهذا الشكل الناقص.. سيبدو كضفدعة)

(-أوجل العمل فيه لاني أحس بالتعب)

(-كلمة ارجوك)

(-للانسان طاقة وحدود)

(- .....)

(-تفلسف أم تهذي ؟)

يظل صدى ضحكته تدور في ارجائي. احس بالاعياء والمرارة تملاء حلقي .. وتدور عيناي في ارجاء الغرفة ذات الجدران الكابية. أحس بالاختناق. ثمة رائحة لا تغادر الاجواء، تزكم الأنف، تملؤه ، تحشوه.. الارضية ترابية الامتداد بعد ان اختفت مربعات البلاط. الاوراق متناثرة لصحف قديمة، ومجلات ونفايات. الهواء يهب من النافذة دون ان يزيح العطانة..عينا ابي تتحسسني بين حين وآخر، انهض متأرجحا تطوحني ابعاد حزن متكلس في قاع الرتابة المحيطة بي. التمثال الابيض في مكانه، الشمس جعلت لونه اكثر شدا للعين. بياضه النقي جعلني في راحة عظيمة . أتذكره. أصابعه تعبث بالحجر الابيض وتجعل له اكثر من معنى . عيناه مفتاحان لفهم المستعصي علي من الزمن الذي أفل..(للزمن عقرب يلسع من لم ينتبه اليه) أخاديد وجهه لم يثبتها على التمثال، لكنها في الذاكرة بدت اكثر وضوحا حاجبان كسيفين متألقين مشهرين في وجه المدى الذي يخيفني .. يكره النفاق والدروب الملتوية.. عيناه محتقنتان بهم كبير..

كانت مرآته مؤطرة ببرواز من الذهب الخالص، أفلاسي دفعني لبيعها سدا لدين كبير كان قد تركه علي، ارادوا مني ان ابيعهم التمثال بكل السبل فلم اكن قادرا على التفكير بالابتعاد عنه يوما واحدا عيناه تدخلاني في كل شيء، وتمزجاني بالمحيط. لغط الشارع يعيث في بقية الذكريات ، فيقول:

(-لن تعرف هما اكبر من الشارع وبغيره ستفلت الروح منك وتتحول الى تمثال حجر لا ينطق ولا يحوي الا كتلة صلدة .. الانسان الذي لا ينتهي بفعله لا بصمته .. غير الشارع صمت وخواء)

الألم يعاودني ، وابحث بجريدة الامس في صفحة الاعلانات عن عمل ما عيناي تعهد السطور صورا يخرج أبي ما خبأه من تحت السرير، ويعاود الشرب. عيناي مسمرتان بالصور التي بين السطور. لا اجد عملا تؤهلني اليه شهادتي . تركت كل شيء محاولا النظر من الشباك بعد عقصت الجريدة، ورميتها في فضاء الغرفة.أتقدم من الشباك المطل على الشارع . تواجهني الشمس فتحسسني أشعتها بتفاهتي. أتذكره يقبلني بحنو دفء لذيذ، وهو يقول:

(-أمك رحمها الله كانت تطل من شباك البيت مثل شمس تدفيء الزقاق تطل علي عندما اعود من عملي بلا بيع..التماثيل لم يكن احدا يشتريها . تطل علي لتلاقيني بأجمل ابتسامة) على الرغم من قسوة الشمس كانت الرطوبة متسللة من اسفل جدران الغرفة تأكلها تدريجيا.. ستطبق علي ذات يوم هذه الجدران.. امي كانت تمنح ابي قرار الاصرار، واليوم من سيمنحه لي؟.. طرقة على الباب، فافتحها لتطالعني عينا رجل رث الثياب .. عيناه غائرتان في عمق وجهه وبلا مقدمة :

-يقول صاحب الفندق ان كنت غير قادر على الدفع ستجد نفسك وتمثالك تبيتان الشارع.. عيناه ضائعتان، ولا تلتقي بعيني. أطبق الباب وراءه. اعود الى الشباك ونظراتي تمتد الى عمق الشارع المزدحم . سألت وأنا اضحك:

-ماذا سأجد نفسي والتمثال أبيت الشارع؟

ألم في بطني من الجوع. الألم يتفاقم .. أتدفق مثل نهر على ارض صقيلة بعضي يدفع بعضي فأصرخ.

-أبي يقال انك لست زوج أمي ؟..

عيناه تفلتان مني فاكمل :

-وان أمي قتلها زوجها عندما علم بأني لست من صلبه..

السؤال يكبر، والالم يفاقم الاسئلة . الصمت يجمع بين الروح والتمثال. الاسئلة تضيع ، وتهاجمني رائحة كقوة الضوء المتسرب علي.. أحدق عبر النافذة تمتد خطوط بصري، ولاتلتقي بالذي اريد. الصمت يتفاقم بيني وبين التمثال الذي بدأ بابتسامة صغيرة لم تكد تبين:

-ابي .. اجبني أرجوك ؟

يطول الفاصل ...

-في مرة لم اذهب الى المدرسة وبقيت مختبئا في دولاب الملابس.. رأيتك تعود بأمراة ترجوك ان تعمل لها تمثالا؟

ضحكة رنانة ملأت المكان. عينا ابي ضاقتا اكثر حتى تلاشتا وصارتا نقطتين مبهمتين . ضاعتا . لكن الضحك استمر الى حد مزق اعصابي واهاجني .. فأخذت اضحك متواصلا مع صدى الضحكة التي في داخلي. اهتزت الاشياء من حولي ، وبدأ التمثال بالاهتزاز والزحف..

الالم يشلني اكثر ، كانه يقيدني ويضغط علي أنفاسي .. اختنق فأصرخ :

-ابي .. ارجوك كنت تعلمني شيء وتفعل شيئا آخرا..

فاجأني صوت ارتطام ...

خيانة زمن[11]

(١)

أني ارى المدن بعيدا جدا.. ارى الخيام.. ارى الواحات. عيون الكهل تمشي بي حيث بدأ تعبي، لا اريد المواصلة بهذا الهزال.. فقدت خطواتي، التعب استنزف عزمي. يأتي الليل الهالك أواه.. منغصات، ذئاب .. مطاردات توقف ايها الرجل الكهل ، وأنظر بعينيك الي.. اكتشفني بدلا من الخطو امامي في المتاهة. الارض القاسية آلمت قدمي.. أواه يازمن. أرى المدن البعيدة في مخيلتي.. ارى سحرها يجذبني يا القلق. الخدر يتسلل الى رجلي.. فجوع بالتوتر مندفعا لا اكاد احس بهما. كم مشينا، ليال طويلة فقدت ثقتي بالاشياء.. اليأس اجتاح مغاوري . ارى الخيام.. أرى القبيلة ،اتساءل من ركضك دون كلل مثل عقرب ساعة.. كم مرة احترقت ، لكن النار لم تخلف دمارا- إلا في عمقي. خذني ايها الكهل العتيد حيث تشاء.. الليل قادم ، البرابرة، اريدان ارى المدن الحقيقية.

---

[11] نشرت في جريدة العرب العالمية بتاريخ ٢٠٠٠/٣/١٠م

(٢)

عشرة اعوام معها.. سرت على عجيزتي.. زحفت بطيئا على حافتي. ابتكرت لنفسي خلاصا وهربت من كهفها المظلم. باطن قدمي تؤلمني. يداي ايضا.. القيح ينز سائلا ابيض ذا رائحة كريهة لاتطاق.. ظهري يصرخ بالم صعب.. اين الناس؟؟ اين الهواء النقي الذي كنت اطمع، علي ان اصل الحضارة. تخلفت كثيرا عما كان يجري حولي... ربما المدينة اكبر بأ سمها، اتراها ما زالت تحتفظ به ــ شوقي كبير. ندمي على مافاتني.. ندمي على خسارتي لنفسي.لحيتي الكثة نابتة في وجهي مثل احراش كثيفة.. شعر رأسي الطويل كاشجار رمادية الحقتها لعنة اسطورية لكي لاتحمل ثمارا طوال حياتها. عينان الضائعتان متوزعتا النظر قلقا. تجولان في المحيط تشتاقان امانا قد لايأتي.. معدتي الخاوية تعتصر.. خسوت ولادري ايقبلني احد؟!! .

(٣)

الشيخ الهرم يمشي بي. وجدته خلاصا.. تكلمت معه وفهم مني كل شيء. قال: لست الوحيد الذي صادفني. لباسه القديم الرث ذكرني بعريي..اتحسس الملابس التي اعطيانيها هذا الرجل،كنت عاريا بعد ان ـ تمزقت اخر قطعة من ثيابي منذ زمن بعيد..النار كانت تدفئني، الثلج كان يحاصرني ـ لافتحة لشمس..لافتحة للهواء.. عيناي مغوشتان، وانفي مشبع برائحتها النتنة،تحد خفي يدفعني الى ما اريد. ملابسي الان ضيقة..الرجل العتيد يتقدم بي نحو خلاصي،يتعكز على عمود صقيل من خشب اللوز، ويمشي..اعطاني تفاحة من خرج علقه الى رقبته..قضمتها بشهية، وكاني لاول مرة اتذوقها رغم انها كانت كبقية الثمار طعامي الوحيد. كنت كمشلول، ولااستطيع الحركة، وهي تأتيني كل يوم بطعامي من الفواكه، لاغيرها.. قضمت التفاحة دون قرف كما كنت اقرف، واخذت اسير مستسيغا طعمها الى هداه..الى موطني.. الى حيث يحط رحاله مندفعا تحوطه عيناي كما امسك حبل خلاصي الذي سيخرجني من الجب العميق المظلم الذي سقطت فيه دون قصد..

(٤)

عشرة اعوام معها.. لم انس فيها وجه امي.. لم انس فيها وجه حبيبتي. لم انس الازقة.. لم انس غرف بيتنا ولم انس لغتي..

(٥)

... وجدني منهوكا الهث . اوه .. الشمس جعلتني لا اقوى التعود غير التدريجي بيسر، جابهتني بقوتها، أشعتها غرزت في عيني أسياخا حادة ملتهبة .. خيوط الضوء شدت عيني، وكادت تقطع عني الطريق الى ما أريد . عيناي تؤلمانني،الحرقة تتسع في بؤبؤي حيوانا اسطوريا كبيرا حجب عني رؤيا عالم انقطعت عنه طويلا. اواه.. قوة ساعدي لم تفلح مع لسع الاشعة المباشرة. قضيت ليلي ارتجف بردا، ونهاري اقاوم ضراوة الشمس بما لدي من عزم نحو الخلاص .. زحفت مسافات طويلة على جنبي فتمزق والتهبت خلاياي امتلأت قيحا بعد ان لامس الجرح التراب، وشظايا الحجر الصغيرة المتوزعة منغرزة في .. لكني مندفع لا اعرف مجالا للألم . مضايقة أليمة ..

أواه.. الصخور الصغيرة الناتئة تهرش أديمي. الطبيعة تحاول ابتلاعي .. تحاول طمسي، وقادرة على غمري. في دافع كبير للخلاص نحو انسانيتي. كل ماحولي يقلومني بوضاعة .. الدم يسيل مني فتشربه شقوق الارض الالم يعجل تحرري .. يقيدني بما لا ارتضيه ، لكني مندفع بما عندي نحو العالم الجميل الخالي من صراعات البقاء للاقوى. لم انعم بنومة هانئة منذ عشر سنوات. وجدني الرجل طريحا، وما رأيته حتى هاج بي البكاء. لم اكن اتوقع مثل هذا الموقف، قط . عرفت ان الانسان وحده لايقاوم الطبيعة.. هاج بي الشوق لان اقبله ان احتضنه كما احب الحياة . انسانيتي هاجت ، تلعثمت الحروف البشرية في فمي ..صارت تأتأة طفل، وكان يبتسم لي مطلقا بشفتيه أملا.. ربط لي باطن قدمي بخرق كان يلف بها ما يحمل ، لف باطن يدي أيضا، فكنت اغبط من طفل فرح بأمه ...

(٦)

عشرة اعوام ، واعوام .. علمت نفسي كيفية استنفاد الصمت بالخلوة.. كما يفعل الناسك المختلي . كنت أقاوم غربتي بحرية ذهني. عودت نفسي دقة حساب الايام. قبضت بعزيمتي على زمني ممتطيا اياه مقوضا انكساري، وعجز جسدي واصلا الى كل ماأربوه مجازا! .

(٧)

.. ارى المدن البعيدة.. قريبة الآن . عند منحدر الجبل المنتصب بشموخ بأشجار كستناء ولوز وكروم جنة موعودة . تشوقت لرؤية الاشياء الحقيقية . ماض نزير على حدود شفافة أتراني مازلت اعرف قيمة الاشياء من حولي، بقيمها الحقة. كنت قبل ذاك لا اكترث بمعطيات الانسانية تراني هل اعود الآن الى غير الذي اصبحته.. سأحاول تلمس الاوعية والصحون، وحنفية الماء.. سأحاول تذوق الطبيخ بملعقة. الرجل الكهل يسير امامي مبتسما. اكتشفت تعبي بما قطعناه من تقدم. لم يحدثني طوال الطريق . الشمس قاربت ان تنام هناك

لتعود الينا في اليوم التالي بكامل حيويتها.. ما احلاك ايتها السماء بشفقك الوردي؟ ما احلاك ايها الهواء المتضمخ برائحة الخبز الناضج .. مرحى لكياني الوليد للتو.. خطواتنا تقترب .. نباح الكلاب.. الليل يأتي الى القرية معنا. المدينة .. لا فرق بين الاهل . يدركون مقدار حبي .. ليسوا يدركون ماهية الغربة التي خضتها.. كلهم احبائي.. امرأة في البعيد تحمل حزمة حطب تتوجه الى قلبي.. الى المدينة .. الى القرية ربما هي امي، في المدينة تبكي وهنا تجمع الحطب لاخوتي. شوقي الى الناس اكبر من اغترابي. كنت اكره الناس بحنق بعد ان اذوني كثيرا .بت اليوم احبهم بما في من حب. الاشجار تحيط القرية من جانبيها. ابقار ترعى هناك، وهناك خرفان ايضا. الليل بدا يدلهم .. سيخيم بعباءة سوداء، ولن يدعني ارى القرية من عمقها بوضوح خطوات الشيخ تسير بي حيث التوغل. تنبهت الى عري جسدي. آثرت الوقوف لانظر الى نفسي قليلا . الثوب الذي اعطاني شيخي ولم يستر وبر جسدي الكثيف ، ربما ابدو وحشا ضاريا بوجه من يراني اول وهلة؟؟.

(٨)

عشرة اعوام . اعد نفسي دقيقة بعد اخرى للخلاص. في الحلم أبتعد عن المكان النتن، وفي اليقظة اقاوم تفجر كل مايفوتني ، دون حقيقة . غريزتي تنطلق بآلية متكاملة.. البرد يتسلل الى عمقي ويقطع عني المعني.. يستنزف جسدي الذي يفور حيوية ...

(٩)

تركني الرجل عند الشجرة قائلا لي انه سيعود بعد قليل واوصاني ان لااغادر المكان. ترك عندي بندقيته . بقيت أتأمل المأسورة الصدئة التي ركنت الى يدي. سلاح غادر لن يستطيع الانسان دونه ان يقاوم. تعلمت ذلك بعمق بعد ان استدرني ضعفي.. ربما حضارات كاملة تنتهي ان لم تؤيد ذاتها بقوة اسلحتها.. باللعقل؟ لكنه في الوقت ذاته محرض على الاقتتال. الليل يأتي بعباءته السوداء، وعيناي تطالعان بافتتان الجمال الذي خلفه النهار..اوراق الشجرة ادارت وجهها باتجاه الشمس،متأملا الاغصان العالية المضفورة مثل شعر امرأة ، غسلها مطر تشرين.. لااكاد ارى بوضوح .. ربما حاجتي جعلتني

أتخيل اشياء لا مبرر لها ، لكن في حاجة لامرأة لا اعرفها .. أود البكاء على صدرها بكل ماأوتيت من قوة لافرغ ما في جعبتي من حزن عقيم..اطرحه اليها ، علها تمنحني حزنا بديلا. يتقدم من بعيد احد الرعيان، يبدو صغيرا يافعا.. ينظر الي بدهشة ، بفم مغفور.. ربما عجب من شيء ما، نسيت ان انظر اليه. انه اول شخص يقترب مني بعد الشيخ. الليل يتقدم اكثر يغطيني ، يقف عند مسافة بينة مني.. يتأملني جيدا وانا ارتجف وأسناني تصطك من شدة البرد.. يترك قطيعه ويركض الى عمق القرية، يأخذني انبهاره طويلا. بعد قليل يأتي خلفه الناس بسرعة عودته الي . يتجمعون حولي مصوبين بنادقهم الي.. الارتجاف يأخذني بقوة ، كأن حبي لهم تضاءل . يصرخ فيهم الشيخ من بعيد حاملا صرة الملابس، فلا يسمعونه . يلتفون حولي بفوانيس خافتة، كأن قرصا من نار يلتف حولي محاولا أخذي !. حبي لهم يتضاءل خوفي يكبر من النار التي تود التهامي. اعتقدوا باني الشيطان بحسب ما سمعتهم. لكن الشيخ يعجل بخطوته الي .. يقف بيني وبينهم . بكيت على تغير شكلي ترى كم من فاصل سيحدث لولا قدومه في الوقت المناسب .. تركونا وحيدين بعد ان كلمهم بضع كلمات وانصرفوا.. أخذت

الثياب التي جاء الي بها .. بينما بقي الاطفال يلصصون الرؤية من خلل الابعاد لم اشعر بالخجل، بدءا . لكن اشاراتهم ملأتني يأسا. لبست الملابس وصرت آدميا بلبس انساني ..

(١٠)

عشرة أعوام ، وأنا استذكر الطريق الى بيتنا يوميا ...

(١١)

أدخلني الشيخ بيتاً . غريب مع نفسي . الدفء الحقيقي.. الحنان المفتقد. أدخلوني الحمام، وهناك لامسني بخار الماء الاكثر دفئا.. تعريت من جديد .. احسست بكثرة ما افتقدته . ألقيت الماء الدافيء على اديمي بالصابون. فقاعات نزلت متسخة . لحيتي الكثة حلقتها بصعوبة . الدم ينزف من وجنتي كاني تخلصت من بعض غلي. رأيت وجهي في المرآة، فزعت ..كان داميا ، ذكرني بالرجل الذي التهمته (الوحشة) امامي عندما جاءت بي الى كهفها، كان وجهه داميا يشبه وجهي النازف . لكنه بدا الآن بدا اقل وحشية مثلما رأيته للمرة الاولى . أتذكر

بيتنا، وفيه حلاقتي اليومية .. كنت أعد وجـــهي لمـــرأى حبيبتي . أرتحل حالما. أما اليوم، فأنا ارفع عنه غربتـــه.. أرفع عنه ماضيا تكلس لسنوات طويلة .. اسمع صـــوت الماء النازل الى الارض ، كأن الغربة تقيدني بماض ليس لي ، كأن اللحظات السابقة التي كنت فيها مع الوحشـــة تتكثف في كل عقلي بلحظة حاضرة. يضطرب في الـــدم. تتداخل الصور، وتختلط احس بالحصار القاسي.. تدور بي الدنيا.. دوار رهيب .. سريع.. يختـــل توازنـــي فـــارتطم بالجدار .. شج رأسي.. لا اكاد أشعر بشيء ، الدم يفيـــض مختلطا بالماء ، فأتهالك الى الارض ...

(١٢)

عشرة اعوام فـــي مضيـــق جبلـــي تحتضننـــي الصخور. تعودت الاستلقاء على العشب اليابس بدلا مـــن السرير. تعودت على قسوة الاشياء من حولي.. حتـــى حاورت الجرذان الكبيرة التي كانت تقاسمني مئونتي مـــن الثمار والنمل والاصفر كان يكتسحني بعد كل جولة ينبش اماكني القصية من جسدي ثم يعود الى ثقوبه فـــي الارض تحتي . كل ماحولي يضطهدني بقـــوة ضعفـــي. تعـــودت الخوف حتىصار بلا معنى . الليل يتكدس فـــي قلبـــي ،

أتيقظ من كابوسي!، لا ادري لم أخذت يدي المبللة بدمه بالاختفاء؟ كأن دمه محا يدي بدلا من ان يبلها.. فرميته بعيدا عني.. خدعت، فأخذت اركض باتجاه البراري، جسدي أخذه المصير اياه، متضحا لي بأن عمي اكلني من الداخل.. صرخت عاليا.. عاليا .

(١٤)

عشرة أعوام ، هزائم مستمرة . خيبات تلو خيبات. أي وجع؟ تحولت الى حيوان بشع لا ينتمي الى اية إنسانية .زالت طباعي الجميلة.. تبدلت بوحشية.. أشم رائحة الوحوش في دمي .. كأن لي ذيلا طويلا .

(١٥)

زوجة الرجل هبت من مكانها، لنجدتي. جاءت بعدها ابنتها الجميلة في عقدها الثاني. ربتت الام على كتفي بحنانها فأشعرتني ببعض الامان وأمرت ابنتها بجلب الماء لي. لابد من الماء ليوقف الأتون المشتعل.. سألتها عن الشيخ، فلم تفهم من مخارج حروفي المتداخلة شيئا كأني عويت، أمامها. احباطي يشخص لحظة بعد اخرى. لم اجد احدا يفهمني ، وكم تمنيت التفاهم معها. كان لابد

من شكرهم الحق. جسدي يرتجف .. يختض مثل سعف تلاعبها ريح عاتية . كان انكسارا خفيا حدث.. الارتجاف يخضني .. اصطكت الاسنان، وقفت الى الدولاب المركون في زاوية الغرفة كي تخرج لي شيئا، لكنها بعد بحث لم تجد منالها. تناولت عباءتها بصمت ثم خرجت الى الجيران.. الى القرية .. الى ..

(١٦)

عشر سنوات كنت اعد لساني الى مايجعلني للبقاء بشرا...

(١٧)

بدت لي الابنة جميلة جدا، عيناها الأمان الذي افتقدته دهورا طويلة. بدت لي الجنة الموعودة فحاولت سؤالها، وفي عطش لسماع صوتها . بعد ان دمرت روحي تلك الحشرجات الوحشية، حاولت استباحة ما ينجلي خيرا. كان الحوار صعبا . كان الكلام مني اليها لغطا غير مفهوم حتى تصاعدت هيجاني. كانت هي بعينيها الناعستين مستغربة من ثورتي منكمشة على ذاتها، فاحتدمت الدماء في العروق . فكرت باللغة الوحيدة التي كنت استخدمها مع الحيوان، عساني ان انجح في الذي أطمح..

(١٨)

عشر سنوات، يوميا.. تأتيني شرهة فـــلا احتمـــل مقاومة ماتريده مني. تضطجع قربي كأي أنثى بشرية، و...

(١٩)

صرخت الصغيرة بألم حاد، ثم فانتفضت جثة هـــامدة، بعد ان أخذ الدم يتدفق منها على الارض ...

(٢٠)

... وصارت جرنا صخريا حاولت أن أفيق مـــن ظلمة ما يحيط، حاولت حتى نجحـــت. ضربـــت رأس (الوحشة) بصخرة حادة، وشججت رأسها. اهتزت بـــي المغارة من صيحتها، اهتزت وظل الصدى يحرك كـل الصخور حتى خفت الطمر . صرخـــة قويـــة جـــدا، وثقيلة. ضربتها على أنفها بكل ما لدي مـــن قـــوة ، فأطلقت في وجهي نفثة قوية اوقفت كل ما في مـــن اندفاع للتحرر بقيت تئن بقسوة ، ثـــم ســـقطت دون حركة!! .

حمـــار[11]

... كأني كنت أسير كالنائم .. أتنفس الهواء عميقا، وأفكـر في أشياء كثيرة منها ألوم نفسي غاية اللوم على أحـداث حدثت، وتداخلت مصيريا بالاشياء، وصارت من الحـوادث المتشيئة. انظر الى القدم عنـد كـل خطـوة، ولا اسـمع إيقاعها.. حيث لازمن يتحدد، ولا مكان املؤه .. خسـارات فادحة في الزمان والمكان.. انظر الى مسـارات الطـرق، ومفرقاتها فلا تثيرني، أرتجلها وأنا ساهم محلق في عـالم غير محدد.. عالم متشيء على مكان عائم في زمن عـائم، أحسه هشا تحت قدمي رغم صلابة الاسـفلت .. امشـي، وحسب .. أطفو بين الناس كخيط دخان رفيع مستمعا الـى لغط مزيج من التناقضات، والاحتدامات . اضحك مليا حتـى تدمع عيني، او ابكي دون ان اعرف بأني انفعـل.. لا ادري إني تصيرت كائنا له وجود بين الحيـوات شـاغلا حـيزا بقدمين، ورأس بينهما (كرشة)!!.

* * *

[11] نشرت في صحيفة العرب اللندنية بتاريخ ١٩٩٩/٩/٩.

..كأني كنت أمشي ، وسمعت:

-اكتشفوا جثة قتيل معبأة في كيس ومتروكة قرب النهر!..

اصخت السمع لاني من يمشي يوميا، هناك . فأخذني الخوف الى حد التملك، أوصالي ارتجفت ولم استطع ان اتقدم خطوة واحدة.. لحظة من الزمن تفرقعت وأحدثت شللا منعني من الخطو الا ان الصوت بقي يصل الي:

-سمعت عن القاتل انه كان يرتدي ملابس لونها رمادي ومعه ثلاثة رجال انتظروه في سيارة كانت مخبأة خلف الاشجار..

قلت في نفسي:

- (هذا رجل يكذب فلم يكن معي أحد!!).

فأردف الرجل الثاني:

-سمعت من زوجتي عن زوجة الرجل الذي اكتشف الجثة.. بأن أداة الجريمة هي مسدس صغير .. رمي في النهر ولم يجد له أثر.

قلت في نفسي:

-(لم اكن احمل بيدي شيئا.. بل لم احمل مدى عمري أي سلاح)..

عاود الأول القول :

-كثير منا كان يتربص به!

فقلت مع نفسي قبل ان ينصرفا:

-(حقا هناك اكثر من دافع)

[١]

كان الظلام غامسا كل الاشياء بدكنته.. الا انـــي رأيت ساطورا كبيرا يلمع بنصله الحاد، وحاملـــه يجلـس على صخرة مدفونة الى نصفـها، وأمامـه امتـد جسـد صغير.. كان البرق بين الحين والآخر يكشف لي ماأخفـاه الظلام.. فانتشلت غصنا مكسورا وأغمدته في خاصرته ..

[٢]

... بل كانت عجوزا تتوسل اليه وترجوه ان يـــاخذ منها ما معها ويتركها لشأنها، لكنه ضحك منـــها ضحكـا مجنونا تصاعدت شهقاته مجلجلـة فـي الفضـاء.. كـأن الاشجار اهتزت وتساقطت عنها أوراقها.. وقبل ان يطبـق بأصابعه على رقبتها، فاجأته بضربة جعلته يفقد وعيـه... وركضت باتجاه الاشجار ...

[٣]

... عفوا تذكرت جيدا ..

بأني رأيت رجلا مرتجف الاوصال بين يديه يتوسل اليه وهو يقول: لن اخبر أحدا بأنك حملت ابنتي عارا لايمكننا نسيانه.. اعتقني واعدك بأني لن أطالبك بالزواج منها مرة اخرى.. اعتقني لاجل اطفالي الصغار وأمهم الكسيحة فلا معيل لهم غيري.. كان ممسكا به من تلابيبه ويدفع به ليكون مخفيا بين الاحراش الكثيفة، اخرج سكينا مشحوذة كأنه لم يسمع من الرجل ماقاله ، ففعلت ما فعلت، قبل ان يذبح الرجل، وركضت باتجاه الاشجار تاركا الرجل يتحرر منه!!

[٢]

* * *

وصلت بعد عناءالى مقطني وأنا متخف من كل عين حتى صرت بين أربعة جدران نضوت عني ملابسي الرمادية كأني أتخلص من شيء مريب .. قلت في نفسي: لابد لي من إحراقها لأمحو الدليل الوحيد.. ربما بقيت عاريا أرتجف بعد ان حشرت الملابس في الموقد استعدادا

لحرقها. في تلك الاثناء تصاعدت همهمة لغط أثارتني ، وربما توجهت مستطلعا من ثقب في اعلى الشباك المطل على النهر .

* * *

كأنهم متوجهون نحوي.. المختاريتقدمهم وخلفه ضابط المركز ومعه أفراد من الشرطة كل منهم يحمل سلاحه وتتبعهم مجموعة من الجيرة، يحملون اسلحتهم .. الا المختار فكان يحمل سجله الكبير وهو يشير باتجاهات مختلفة!

* * *

أخذتهم اللهفة ليعرفوا من هذا القتيل ؟ فما من احد قداختفى .. كل رجال الاعمال والساسة .. التجار والعمال.. اولاد المختار وعمومتهم وابناؤهم .. ضابط المركز ومعيته.. كلهم تفقد اطفاله وزوجاته ..الكل يريد ان يعرف لمن هذه الجثة المقطعة في كيس، ومتروكة قرب النهر. ولم يجرأ احد على فتح الكيس الذي تجمع عليه الذباب بصوت مقرف، وبدا منظره مروعا والدم ينز من جانبيه- الا الضابط الشاب الذي اعاد مسدسه الى حافظته، ففتح الكيس بحذر مبالغ فيه، وما ان صارت الفتحة متسعه لمد بصره فيها حتى اخذ يقهقه بقوة جلجلت بين الاشجار،

والحيوانات ، مفتضة بكارة الصمت المطبق.. فتقدم رجل آخر، وآخر للنظر الى عمق الكيس فوجدوا فيها رأس حمار، و (كرشته) مع اطرافه الاربع .. فنهق المختار ضاحكا بهستيرية وهو يقول :

- هذه فعلة جاري القصاب !! .

* * *

عدت من جديد اتنفس الهواء عميقا، وافكر في اشياء كثيرة منها ألوم نفسي غاية اللوم على احداث حدثت، وتداخلت مصيريا بالاشياء وصارت من الحوادث المشيئة!!.

كتاب الحندل وابوابه[١٢]

(١)

بقيت كلما انزل من درجة من الدرجات الهابطة الى القبو المظلم العتيق، تضرب بأنفي رائحة العفونة المتصاعدة، والرطوبة المتضوعة من باطن الارض. بينما أشد بأصابع يدي اليسرى ضغطا على المصباح الصغير الذي دعمته ببطارية جديدة، تحسبا للطواريء. بدت الدرجات الخمس عشرة تتداخل مع بعضها، وتصر تحت قدمي، كأنها غير محتملة بدانتي ، وانا احس ليونة الدرجات، برغم ثباتها تتطوح بي. فأوجه ضوء المصباح الى موضع القدم مرة، واخرى احولها الى امام دون ان اجد شيئا يعيقني عن الخطو، لاهبط متوغلا الى العمق. في تلك اللحظة فكرت ان اعود ادراجي، وأوجل رغبتي بالاكتشاف الى مابعد تجيهز المكان بضوء الكهرباء الذي سييسر الرؤية .

---

(١٢) الحندل : الرجل القصير جدا

* نشرت في مجلة الاقلام شتاء ٢٠٠٢م

ولكن الدرجات الصغيرة جدا والمتتابعة وصلت بي الى الارضية، وراحت قدماي تتحسان تراكم التراب الناعم الذي يشبه الدقيق عندما تتحسه الاصابع..

كان ضوء النهار الذي دخل من الباب الخارجي قد وضح لي الباب الكبير الذي واجهني بعد الدرجة الاخيرة مباشرة ، وعليه مطرق نحت على هيئة " ذيل ديك" في غاية الجمال .. دفعت الباب برفق، وتبين لي انه كان مقفولا من الداخل، طرقت بالمطرق ولم يرد علي أحد، واذ به يتخلخل متهشما غير محتمل دفعتي وفتح على مصراعيه مهيجا البوغاء[١٣] فصرت بعطاس متواصل، ولكني دلجت مندهشا الى دكنة الباحة متفرسا رجع الصدى..

نقلت المصباح الذي التفت عليه اصابعي بقوة، وصارت دائرة الضوء الصغيرة على مكتبة جدارية، فاجأتني . وتقدمت اليها اكثر حتى اصبحت على مقربة خطوتين. حدقت في ما يحيط بي من اشياء، ولم يكن بجانبها سوى منضدة كتابة واطئة، عليها سراج زيتي. وبقربها كرسي صغير متحرك مثل الذي يستخدمه

---

[١٣] التراب الذي اذ مس طار من وقته.

المعوقون. رحت اتقدم نحو المكتبة التي اجتذبتني بكتبها المتراصة، واخذت ازيد شدا باصابعي على المصباح الصغير،مثلما يشد الفارس اللجام على الفرس المنطلقة بلا هوادة. وقبل ان تصل اصابعي الحرة الى الكتب، ازحت من امامي نصف كرسي آخر واطيء ايضا. تعثرت به، وبعدها وصلت الى المجلدات الكبيرة التي رصفت بعناية فائقة، وبحسب تسلسلها بالحجم ..

مسحت برؤوس اصابعي التراب الذي اخفى لونها،وبدت لي اكثر قتامة بسبب الضوء الشحيح. ولم استطع ان اقرأ أي عنوان برغم اني قربت المصباح من حافة الكتب ، ولم يكن لي بد من ان اسحب كتابا لاعرف أي كتب هذه؟ كان ملتصقا مع الاخر الذي بجانبه، وبذلت مجهودا كبيرا عندما سحبته اليّ مرة اخرى، فوجدته خفيفا، وارواقه ملتصق بعضها ببعض وبعدما فتحته تبين لي كالعلبة الفارغة اذ نخرته حشرة الارضة من الداخل،ولم يبق منه سوى هيكله الخارجي، فاعدته الى مكانه خائبا، صرت اقلب كتابا آخر وآخر : حتى تيقنت بان الكتب جميعها خربتها تلك الحشرة الفاتكة بمجموعها المقدر بأكثر من خمس مائة كتاب، فقلت:

- انها ثروة عظيمة تفوق أية ثروة ..

أقشعر بدني، تراجعت خطوتين عندما سمعت صوتا ما، تهيأ لي اني سمعته، ووجهت الحزمة المنطلقة من مصباحي يمينا وشمالا، ولم أجد شيئا يدل على الصوت سوى مسحف[١٤] هنا ، أو وزغ هناك . فقلت: لايمكن انِ يكون ذلك الصوت إلا تهيؤ آت!.

بقيت رائحة الكتب في أنفي، بالرغم من الطعنة.. مثل أي روعة تتخلل الروائح المزيجة ، مثل فرح عابر تخلل الحزن المقيم .. فرحي أول رؤيتي للكتب ، كان طاغيا، ولم يكن الا انكسارا بعد ان ضربها القتعة[١٥] !.

وجهت الضوء الى الارض ، وكان البلاط معفوا، ورحت أتابع ما يسقط عليه من الضوء الشحيح.

أخاف ان تلدغني حشرة مامن الهوام ، ولكن فصل الشتاء جعلني مطمئنا ..

كنت متيقنا بان اصحاب الدار الذين تناوبوا على ملكيتها ظلوا لايعلمون شيئا عن هذا القبو على الاطلاق.. والا لكانوا ذكروه، أو لاستفادوا من خنثره[١٦]

---

(١٤) اثر الافعى

(١٥) العثة

(١٦) المتاع الخسيس الذي يترك في البيت اذا انتقل ساكنه.

شيئا، وخصوصا الاخير منهم الذي عرفته بخيلا الى حد اللعن، فقد أتفق معي على ان تكون كافة التكاليف الرسمية على عاتقي، لم يكن احد قد سكنه من الذين اشتروه عرف القبو، ولم يكن لاحد منهم الوقت الكافي ليكتشف ذلك، لان بابه الصغير كان مخفيا تحت التخت الخشبي العتيق والثقيل الذي أهمل تحت الدرج مباشرة، وكأنه قطعة مشؤومة مهملة لن يستفيد منها احد. لم أستطع التخلص منه الا عندما ساومت أحد تجار الاثاث العتيق برفعه من البيت دون مقابل، وكان مرتعا لمملكة حشرة الارضة ، وما إن أزيل ذلك التخت الهائل حتى بان الباب الحديدي الصغير، المرتج بقفل ومزلاج كبير.

منذ تلك اللحظة عزمت على فتحه ، بفارغ صبر. فاستعنت بالحداد لاجل تلك المهمة الشاقة ، التي عانى منها كثيرا قبل ان يكسرها بالرغم من الصدأ الذي علاها كلفت الحداد جهدا كبيرا والآت كثيرة حتى فتحه بعد ان أصابني الاعياء.. بفتح باب الفضول التي أرقتني طويلا – ولم أوجل الدخول بعد ان دفعت للحداد اجرته ودون ان أتفوه بكلمة واحدة لاي كان، ولم تكن الا ثوان قصيرة حتى انحشرت في الباب الصغير

المؤدي الى الدرج . كأني متطوح الى العمق الداجي وحزمة ضوئي حبل خلاصي .. كأن الارض لينة تحت قدمي، ستغوص بي، وتبتلعني فأزيد من شد أصابعي على المصباح الصغير..

أزحت الهلل[١٧] الذي لصق بوجهي عندما قفزت خطوتين جانبا بعدما سقطت على قدامي دواة فارغة كانت قرب المكتبة، سحبتها بطرف كم قميصي دون ان اعي ذلك ، وأخذ قلبي يضرب كطبول مضطربة بجنازة ملك عادل، دون ان اعرف كيف فاجأني الرعب الذي كان بداخلي، الاجدر بي ان اقهقه في هذه الدهمة حتى أنتصر على ذلك الخوف الغريزي الذي كان يسكن مترسبا في قعر اعماقي دون ان يظهر على السطح .

في تلك الاثناء كنت قد أقتربت بقفزتي من تخت آخر شبيه بالتخت الذي كان يخفي باب القبو، ولم يكن سوى حصير مصنوع من سعف النخيل ، وقد غطاها المازن الذي نزل من ثقب الحائط وعلى بعد بضعة اصابع من الثقب رأيت فسيفسة نحتت على شكل

---

[١٧] نسيج العنكبوت

تنين صيني ، وبلون غامق، فوجهت حزمة الضوء الى المنضدة الثانية التي تشبه منضدة محاسب انكليزي . برشاقتها، ودقة نقشات حافتها التي تلمستها محفورة على الخشب الصاج الذي لم ينلها الخراب تأكد لي ذلك من خلال محاولتي الضغط على حافتها القوية . بعدها فتحت الدرج الوحيد، واجهتني مجموعة من الاوراق النقدية القديمة عليها حروف غير مفهومة ومجموعة اخرى من ورق اللعب ، ودفتر مذكرات يومية صغير، قررت حمله معي لأقرأه تحت ضوء كاف..

رفعت الدفتر وجعلته تحت إبطي الشمال دون ان اطويه ، مقررا الصعود الى البيت وأنا احول حزمة الضوء من مكان الى آخر حولي ، ورأيت آلة لفتح الورق مع بعض القصبات كالتي تستخدم للخط بالحبر الصيني، ورأيت ان آخذ السراج الذي كان معلقا على الحائط لفحصه وتجربته و اواصل بعد ذلك محاولتي لاستكشاف المكان الذي لم يكن مكانا مألوفا ، بل ضربا من الخيال ، ولن يكون موضع تصديق؟

(٢)

في السطور القادمة التي اكتبها ، حكايتي ولا اريد ان يعرفها احد قبل ان اموت واضع لها نهاية من نهايات القرن الذي شهدت بدايته هزيمتي ، وبداية ما لا أريد ان يعرفه احد غيري،(كلمات غير واضحة) اخترت طريقة موتي في هذا القبو(كلمات غير واضحة)، ماستطعت قبل ان ينتهي ما عندي من طعام أعددته ليكفيني مدة عشرة ايام لاغيرها، وبعدها سيكون مصيري مصير أولئك الذين قرأت عنهم ما قرأته (كلمات غير واضحة) قدرته فقدرته حكما على نفسي. (كلمات غير واضحة) لاني اعد الجسد تابعا(رسمة تشبه الملك في ورق اللعب) ، وبموت صاحبه عليه ان يلحقه بأي حال من الاحوال ، وان يدفن حيا ذلك الجسد .

تشوقت لان أستمر في القراءة ، ولكن معظم الحروف قد تشوهت ، ولم أقرأ شيئا سوى مقاطع هنا وأخرى هناك ملخصها :

((انه أحب امرأة ، وأحبته حبا جما خالصا))، ((وتعودت ان اصنع كل شيء لنفسي ، فكلما هو حولي من بنـــاء ومحتويات.. صنعته بيدي هاتين اللتين اكتب بهما)).

((فتح دارة مقمـــرة، ثـــم جمـــع مـــالا كثـــيراً ، واستطاع ان ينزع المرأة التي احب من زوجـــها بعـــد عدة تحديات فاز بها. ولكن أحدا آخر رسم له ماجعله يخسر المرأة والدار..)).

تشوقت لرؤية الاشياء الموصوفة كلـــها، فـــي الاوراق المكتوبة ، ولم اكن قد شاهدت أي باب آخر في القبو عرفت من خلال قطع الورق التي تفتت معظمـــها بين اصابعي فآثرت ان اعود اليه من جديد!.

(٣)

فتحت الباب ، ورأيت رواقا يؤدي الى باب آخر يشبه الباب الذي واجهني ، وفتحته ورأيت تختا آخر يشبه التختين اللذين رأيتهما، وعليه بقايا رفات بطل قصتي برأسه الكبير، وجسده الصغير الذي لم يبق منه سوى عظام في ملابس مجعلكة، قبالة التخت الخشبي صورة امرأة مرسومة بالزيت غاية في الجمال ، ولم أتمالك نفسي حتى انتزعتها من الحائط، وقررت أخذها معي.. فتبين لي ان ثمة بابا آخر خلفها كالباب الذي فتحه الحداد..!.

(٤)

في الصباح لم أحدث أحدا عما رأيت ، وجلست الى منضدة الكتابة ، مقررا تدوين كل ذلك في كتاب .

دمعة بيكاسو[١٨]

لي سعادة لا أضيعها ، بل أمسك بها جيدًا . أحاول ان استرخي غاية الاسترخاء ، وان أمد بتلك التي أمسكها غير مصدق ، كالمجنون عندما يمسك ذرة غبار ملونة في فضاء معتم تتلامع عصية على الفهم. كأني أطارد بها عدة أفكار متداخلة تصلني الواحدة بالاخرى.. عدة كلمات تفند تلك الافكار، التي تجعلني أتوغل في جزيئات الحرف الواحد منها، واسهب طويلا كالمتخيل منعطفا من صورة الى اخرى خزنت في عقلي الباطن، كأني أنظر الى صورة فنجان مقلوب، فصار امامي بواجهة واضحة .. ثمة تعرجات، وأمواج ، كلها متصلة بعضها ببعض ، وأشبه بقطع الغيوم المحلقة في السماء ، وتدفع بها الرياح.. تتشكل الصورة من عدة حركات متحركة الى صور متعددة... كانت لي بها تهيؤات ، تتداخل الى تفاسير تقرأ

---

[١٨] نشرت في جريدة الثورة بتاريخ ٢/٢٠٠٢م

كالحروف .. قرأتها لي تلك الفتاة البالغة الحسن في المقهى :-

(لن اعود الى ذلك المشوار الذي يهددني بنفي آخر، وسامتنع عن البوح) .

نظرت الى مركز لم اسمه:

خداها الصافيان مجللان بالجلنار، عيناها منهل ماء يرتفع بأنفة قوس بليغ كرقبة فرس شهباء، كل حالها وصفه عاشق شعر.. هي الابلغ بكيانها، وكم هي باهرة..

(لا أدري ماذا أسميه .. فرع ذهني من المفردات السردية)..

تتساوى فيه مع ماأراه، ولاني استمتع الى حد أنسى أني على تلك الحافة الخزفية التي تلثمها الشفاه القرمزية ..

(علي ان اتواصل مع الصورة المتكونة أمامي في الفنجان المقلوب)،

لوحة في غرابة تفاصيل متواشجة واحدة بالاخرى، كأن للاشياء جميعها اكثر من شكل، واكثر من معنى ..

صرت تائها بين تلك المكنونات المنيعة على الفهم السريع.. تحتاج الى قوة خيال ، وتخرج تلك الرموز..أنسى مافكرت به..وقع غريب كأنها (بانوراما) مجد عتيق، وعتيد .. ساقاها منعمتان بالوقار، باهرتان كأنهما مقدستان صافيتان .

حدث تأريخي غير مجرى التاريخ.. أن اترك ريشتي ، والمسها ..

نهداها شاهقان بخيلاء متجبر خلف بلوزة حريرية بلون لم تميزه العين بسبب سطوع خرافي لجيد طغى بلونه الشهي المضيء، واضاع ماتستدل اليه العين، ولم تزينه قلادة، أو عقد .. بل كان طاغيا متجبراً لا يطغى عليه شيء طغيان بعضه على بعضه ..

أتابع بشغف لمعة عينيها الرائعتين كنبع بديع يروقني .. بقيت سابحا، حالما، تائها ، متأملا لها وكأنهما مركز اللوحة- عيناها تطارداني ،وانهما خط الافق الذي يقاس من خلاله عمق اللوحة.. انبجست منها كل الازمنة.. صرت اتطلع للعمق الظليل الذي في ذلك القعر الغامض المتشابك، الملغز، المثير .. من الصعب جدا فرزها.. انطلقت الى عيني كصورة متداخلة.. شواهد تترى متتابعة مثلما يرسمها بفنه الفنان

العبقري الذي وسعت رؤيته، وثقافته ، وخرقنا بمعلوماته المتدفقة .. كنت اقرأ العيون، وأتابع الصدر الذي إنهد بعد تنهدة حرى بالتطلع ..

نظرت الى مركز لم اسمه : كأنه سر محترز مطلسم لايفك ابدا..

قلت :- تعرفين اني اكذب عليك فكيف تطلبين المواصلة؟..

(لاادري ماذا أسميه .. فرغ ذهني من المفردات السردية)..

تتاهت الضحكة في الوادي المتصدع كوقعة سحر ، عادت تخرقني بتناغم متراقص بهيج، ارى عينيها تومض حبا مثلما يعرض التلفاز صورا متحركة.. كانت يدها تناولني الفنجان المليء بحوريات البحر ذوات الصدور بالجذب البديع بحضورمتموجة يضربن دفوفا، قاماتهم الهيفاء متموجة الاغواء يشققن الركود المقحل برشاقة سحرية تنتصب ، وتعزلني عن العالم.. نقف معا في المطلق.. نقترب من الآمال الكبار يدا بيد.. قصوى الحلم .. قصوى المتعة، أوشكت ان توقف القلب عن نبضه.. خشيت ان تفلت الحروف الاخرى التي غالبا ما تفسد المتعة، فاضت الكلمات

المتلاطمة كموج البحر أمام عيني بمعانيها التي خرجت طافية مما فاض به الفنجان العجيب.. قبل ان يستقر في يدي . اليدان الناعستان بأصابعهما الرقيقة الانيقة بدون طلاء في لون الصدف،وكأني ارتجفت عندما لامسني دفء كفها ، فاكتمل الارتجاف بلسعة نشية، عزمت بعد كل ذلك الاحتدام على ان تبدأ معها قصتي الجديدة المنفى ، الاحلى في ذلك الوادي البعيد.. قبل ان ينتبه لنا احد ما في المقهى ..

أحوال شخصية[19]

(١)

بعدما لفظت لها كلمة حريتها، نظرت الى عيني بقسوة غليلة .. لم تكشفها لي ، طوال السنوات السبع التي عاشتها في كنفي، كالغارز خنجره المسموم، غيلة في ظهرها ، برغم أني عانيت صعوبة بالنطق ، من بعد تأخر دام دقائق. زلزلت الارض من تحت قدمي ، وراحت ركبتاي ترتجفان، وكأنهما غير قادرتين على حملي، وثمة غشاوة بلون بنفسجي، حجبت الميزان الذهبي المبروز باطار خشبي فاره، وعينين واثقتين من خلف مكتب انيق، صار يدور كصحن طائر من حول نفسه ، ومن ثم اخذت الاشياء تدور معه، فاوشك ان يبتلع كل ما في محوره كما سورة ماء، تداخلت اجساد الآخرين بالاشياء من حولي، وباتت كأطياف مغشوشة ، وثقل لساني في اخراج تلك اللفظة ، التي كنت اهابها كرجل، اكثر من أي رجل آخر ، كأنها أثقل كلمة،

---

(١٩) نشرت في جريدة العرب العالمية بتاريخ ٢٠٠١/١٢/٤م وايضا نشرت في جريدة العراق بتاريخ ٢٠٠٢/١/٦م

ألفظها. بقيت أنظر الى تلك الحروف ، الدامية، وكأنها شريط طويل أستخرج من داخلي ، ومعه كل احشائي، لو لم تكن الكلمة الفاصلة التي كانت تطلبها مني، لما نطقت بها، نظر القاضي الي، بعطف، أوشك ان يؤجل النظر في هذه القضية .. أخذني منه ومن الآخرين الحرج الى درجة التضاؤل .. الى الحد الذي وصل بي ان لا أنظر الى احد من الذين أمامي ، كأني كنت موشكا على التقيؤ:-

انتهى الامر !

قال القاضي رادما للهوة السحيقة التي كادت تبتلعني..

صارت محرمة عليك بعد الآن!.

تداخلت دوائر الدخان في الغرفة المغلقة ، وصارت اعتم الغرف ، على الاطلاق ، مثل قبو عميق لم تصله الشمس . صعبت علي الرؤية ، لم اكن مقيدا، ولكني كنت كالمشلول مقيد بألف قيد، كأن سورة عاصفة تلفني، وجعلتني أثق بأن قدمي لن تصمدا في إكمال المشوار ، قبل ان يمضي القاضي الاوراق التي بين يديه، ثم قال :-

-لاحول ولا قوة الا بالله

وحول رأسه الكبيرة الى المحامي الاصلع الذي همس في اذنه بضع كلمات، مشيرا برأسه الى المرأة التي أخذت تجهش ببكاء مر، وكأن الامر قد حدث عليها قسرا، فقال لها بتوبيخ شديد:

ألم تكن رغبتك؟

اومأت بالايجاب ، فاردف مبديا عدم تسامحه معها .

-عليك التزام عدتك .

هزت رأسها مغالية، بعنادها، وراح بكاؤها يجلجل بشهقات أنثى تود تفتيت صخرة جثمت على صدرها، ومنعتها من مواصلة تنفسها. أخذت الهمهمة الاحتجاجية في من حولي تسكن، وكان الغبار الذي تصاعد من الجراء المحتدم، قد اخذ النزول الى استقراره. أحد الشهود أوشك أن يعصف بي، قبل الدقائق الاخيرة ، وكاد ان يغير الجهات جميعها، لكن المحامي الذي أوكلته للدفاع عني ، تدارك أمره بفطنته، ودفعه جانبا كأنه ألجمه، وهو يتناول نسخة ورقة القوار الاخير، من يد القاضي .

ثم وجه كلامه الي:

- من كان يراها وهي تطاردك لاجل الطلاق .. لن يصدق بكاءها الآن ندما .

أضاف بتنهده غميمة:- سبحان مغير الاحوال!.

استقرت أنفاسي تدريجيا، ورحت أخاف النظر اليها، إذ صار عندي شعور عميق بأن تلك آخر مرة اراها فيها، دفعني ذلك الى ان اخرج من غرفة القاضي، دون إذنه، متمنيا ان اصحو من كابوس قاهر، وكان مثل لج عات، اضطرم في داخلي ، جعلني متعثر الخطى .. هاربا نحو بيتي ، وان افرغ ما احتدم على رأسي من أهوال متتالية .

بقيت انظر الى الموجودين ، ثلاثة شهود بدلا من شاهدين ، ولاتربطني بأي منهم أي صلة. محام اصلع عنها، وآخر بدين ظهر من بين تلافيف الحائط ، تفوح منه رائحة الثوم. بواب نصف أعمى، له صوت سمسار ، يملأ الفراغ الذي بين القاضي ، والباب المواجه، المغلق ، وتعالت من ورائها اصوات متداخلة بالشتائم، وتبادل التهم بين الزوجات، وازواجهن. البواب الآخر تعودت يديه على اختطاف (البقشيش) من الكاسبين قضاياهم، بقي هو الآخر ملجما، ولم يبهره من القضية الا خريطة الاسى التي كست ملامحي عجالة.

(٢)

صباح امس استقدمت الزوجة، المختار ، ومعه ثلاثة رجال من الشرطة، بصحبة مأمورين من المحكمة، لكي يكسروا باب البيت، الذي كانت تعيش فيه، ويدخلوه لجرد أثاثه، وكان محاميها محتاطاً لامره، فطلب من القاضي ان يوجه اشعارا الي، بواسطة مركز الشرطة ، وتم لهم ذلك بعد ان اخذوا مني تعهدا خطيا بالحضور برغم أي ظرف طارىء.. لكن القفل الذي أنكرت توفر مفتاحه، استعصى عليهم، وتأجل العمل الى اليوم التالي ، ولما تحقق كل ذلك، قررت ان ابدأ خطوتي ، عند أول المساء ..

(٣)

مشيت خارجا مع المحامي الى موظفة التسجيل لغرض ختم الورقة، وتصديقها، وبقي المحامي لايود الافتراق عني ، ومتواليا بالكلمات :

-لي نسبه ١٠% من ثمن محتويات الاثاث .. فضلا عن بقية مبلغ الاتعاب ؟.

اوشكت ان ابصق في وجهه ، ولكنـــي أجلتـــها الى وقت آخر..

(٤)

ففي المساء البارح كنت اعرف تمامـــا مـــايكون علي فعله، ومضيت اطلبها بالهاتف ، ودون ان أنطـــق بحرف واحد، شغلت لها شريطا ، كنت احتفظ به، وبقـي صوتها يهدر، باعتراف يفيض بالاثم.

(٥)

لم تحتمل عيني قسوة الاشعة . صارت تحفـــر في عيني حفرا عميقا. وأنـــا بيـــن اللحظـــة والاخـــرى استخرج الورقة ، واعيد قراءاتها مرات ؛ أسائل نفســي ان كان المكان الذي شهد قصة حبنا،ذاته، يشهد نـــزاع فراقنا.. امشي متكدرا غير عابئ بالسيارات التي تمـــوق بالقرب مني، وكادت احداها تدهسني ، تنبهت الى صوت الكابح الحاد الذي أيقظني بـــروع كـــاد ان يســـاوي الروع الذي في داخلي .

(٦)

وبعد ذلك قلت بصوت واضح:-

-اتلف الشريط مقابل التنازل؟.

(٧)

لم اشأ ان أذهب الى بيتي منكسرا ساعة خروجي من المحكمة، كأني ارفض تصديق ما حدث، والصور الماضية تترى ، وتتدفق.. كان بكاؤها المفتعل مرّا، وشيطانيا ، كاد يطيح بي في اللحظة التي احتاج فيها الى ايضاح ما، إذ بدت لي تلك الاغوار الغميمة ، عصية . فمن يفسرها؟ كأنها مشحونة بالتعارض، والتوافق.. بعمقها ، وإحساسها، وإلا كيف نزل كل ذلك البكاء الحارق،وظل عالقاً في ذهني يهزني هزاً عنيفا من الداخل ،وأنا غير مصدق ، كأني مافهمت شيئا من كل الذي يحدث ، وماجرى عليّ لم يكن الا كابوسا ، قاهراً، يحتاج الى تفسير، ولو لم اكن قد كسبت الجولة الاخيرة ، لما بقي عندي مكان يلمني ، ولضاع مني كل مابنيته طوال تلك السنوات..كادت الريح تطيح بي، تدفع بي الى المهلكة، وما علي الآن إلا ان أبدأ من جديد، وأفرغ من كل تلك الكثبان التي صبتها الريح امام خطواتي .

(٨)

في الصباح الباكر ، وقبل ان اترك البيت الى المحكمة ، وصلني جوابها المرغم :

-لك ماتريد!

فأضافت:

-ارجو ان تلتزم بوعدك

(٩)

رحت أمسح دموعي، التي كانت تفيض كلما اقتربت من البيت.. وبقيت أمشي حوله، دون توقف ، لا أجد جرأة في الدخول فيه، وحدي. والاسى يمزقني إربا إربا.

المحتـــوى

ذاكرة ما ٥

الصفر نصف قطر دائرتي..... ١٢

ورطـة..... ٢٠

كـــان..... ٢٨

بعد الجمر.. قبل الرماد ٣٤

مابين الحب والحب ٤٤

عودة الصبي ٥٣

محمد أحمد..... ٦١

السائس..... ٧٢

الظل الموحش..... ٧٨

خيانة زمن..... ٨٦

حمار..... ١٠٧

كتاب الجندل وابوابه..... ١١٧

احوال شخصية ١٢٢

تحيات
محمد
muz@hotmail.com

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٠٦٤ لسنة ٢٠٠٢

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة